رسائل من

بيلاطس البنطى

إلى

سينكا

الفيلسوف الرومانى

عادل لست

اهـــــــداء2005

ا.د.عباس عبد الحميد

جامعة الإسكندرية

رسائل

من بيلاطس البنطي

إلى سينيكا الفيلسوف

نقلها عن الإنكليزية

جاد المنفلوطي

صدر

عن دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية

بمصر

المطبعة الفنية الحديثة
٥٠ شارع الأزهري بالزيتون ت ٥٦١٨٧١

محتويات الكتاب

بقلم المترجم

كان بيلاطس البنطى حاكما على اليهودية من سنة ٢٦ حتى سنة ٣٦ للميلاد ، وبعد موت طيباريوس قيصر تم استدعاؤه إلى رومية حيث ترك حكم اليهودية .

وفى خلال النصف الأول من فترة حكمه ظهر كلٌّ من يوحنا المعمدان ، والسيد المسيح الذى تمت محاكمته وصلبه .

وقد أشار إليه كل من المؤرخ اليهودى الشهير يوسيفوس والفيلسوف اليهودى السكندرى فيلو ، كما أشارت إليه البشائر عندما تعرض كاتبوها لذكر أحداث الصلب .

أما سينيكا الذى أرسل إليه هذه الرسائل فهو فيلسوف وأديب وواحد من رجالات الدولة الرومانية فى ذلك الزمان ، وهو من مواليد قرطبة ، وقد اشتهر بلقب سينيكا الصغير ، ويبدو أنه كان مولعاً فى شبابه بمعالجة موضوع تسلط حاكم غريب على شعب لا يدين بالولاء لغير أحكام دينه ، وهو نفس الوضع الذى كان فيه بيلاطس.

والمجموعة التى يتضمنها هـذا الـكتاب تشمل ٢٢ رسالة تغطى فترة من التاريخ تبدأ بظهور يوحنا المعمدان وتنتهى بموت المسيح فى سنة ٣٠ للميلاد .

وستجد فى هـذه الرسائل الدليل على صحتها لأنها تتضمن الإشارة إلى وقائع تاريخية ثابتة ذكرها المؤرخون المعتمدون ومن بينهم يوسيفوس ، ونخص بالذكر منها حادثة صور القيصر ، وحادثة الاستيلاء على جباية الهيكل ، ثم أيضاً موضوع قناة أورشليم .

فهذه الرسـائل هى بالفعل رسـائل بيلاطس البنطى الى صديقه سينيكا ، وهى من هذه الوجهة وثائق تاريخية لما تضمنته وأشارت إليه من وقائع وأحداث .

كما أنها أيضاً ضوء جديد يلقى على فترة هامة ، بل من أهم فترات تاريخ البشرية على الإطلاق ، لما حفلت به من جلائل الأحداث ، ننظر إليها اليوم من زاوية جديدة ، من وجهة نظر الحاكم الرومانى ، الذى سجل فى هذه الرسائل مشاعره تجاه أنداده من ولاة الرومان فى تلك المنطقة من العالم وشعوره من نحو يوحنا المعمدان ومن بعده يسوع الناصرى ، ثم كل جماعة من الجماعات اليهودية المتناحرة والمتنابذة .

وهى أيضاً تكشف لنا عن الدوافع الحقيقية التى أدت به إلى إصدار حكمه بصلب المسيح ، رغم ما كان يعرفه من براءته من التهم التى لفقوها له بقصد التخلص منه ، كما ذكر لهم بخطاياهم ، فيخلو لهم الجو وينفردوا بأغنام أموال الهيكل واقتسامها فيما بينهم دون أن يصدع آذانهم لوم أو تأنيب أو صوت نذير ، ولا حتى وازع من توبيخ الضمير .

وها هى ذى أيديهم ملطخة بدماء ذلك البار ، وجرمهم واضح وضوح الشمس فى رائعة النهار ، لن يبرئهم من جريمتهم حتى ولا ألف ألف قرار . ولن تزول من أيديهم دماؤه حتى ولو غسلوها بمياه جميع المحيطات والبحار والأنهار .

وأرجوك يا عزيزى القارىء أن تعذرنى إن كانت أمانة النقل ، اقتضت أن استخدام من الكلام ، مالا يناسب المقام ، مقام سيدى وربى يسوع المسيح فادى الأيام .

واذكر أنها رسائل بيلاطس البنطى ، وليست رسائل المنفلوطى . كتبها بالإنكليزية أولا الدكتور كروزيه العالم بجامعة اكسفورد .

وهى وإن كانت قد خلت من التاريخ ، لكنها مرتبة بحسب ما أشارت إليه من وقائع التاريخ ، وإن كان فيها ما كتب فى أورشليم لكنها جميعها منسوبة إلى قيصرية باعتبارها عاصمة الولاية ومقر الوالى الذى كان أحياناً يذهب إلى أورشليم ويقضى للشعب هناك .

وأرجو أن تجد فيها من الجديد ، ما يبنى ويفيد. والرب معك؟

جاد المنفلوطى

الرسالة الأولى

قيصرية

أول إشارة ليوحنا المعمدان

أقدم لك خالص شكرى لأجل الرسائل التى وصلتنى منك ، كما أعتبر نفسى مديناً لك بشكر خاص ، لغيرتك على مصالحى ووقوفك موقفاً صلباً ضد بومبونيوس روفس ،ذلك الجار الذى لم لم يرعَ للجيرة حقاً ولا حرمة ، فأوصل بيته إلى ارتفاع شاهق يحجب الضوء عن بيتى المجاور له .

مع أنى سبق وحذرته من الإقدام على هذا العمل قبل أن آتى إلى هنا ، ولكنه انتهز فرصة غيابى خارج الوطن ونفذ خطته ضارباً بتحذيراتى عرض الحائط ، وقد نسى أن لى فى روما صديقاً عزيزاً مثلك تهمه مصالحى ويدافع عنها بغيرة لا تقل غيرتى أنا عليها .

يسرنى أن أخبرك بأنه بلغتنى فى الأسبوع الفائت أنباء عن ظهور واعظ متجول اسمه يوحنا المعمدان بدأ يمارس نشاطه فى المنطقة الواقعة جنوبى أورشليم،وقد أحدث ظهوره اضطراباً ينتظر أن يزداد فى الأيام القليلة القادمة .

لهذا أرسلت إلى أورشليم رسولا اسمه يوسف ليجمع لى بعض المعلومات ويوافينى بها ، وسيتولى هذا الأمر بنفسه ، وقد خولته جميع السلطات التى تكفل له مواجهة كل الاحتمالات ، كما كلفته بالبحث عن مصادر الاضطرابات ونتائجها المحتملة ويوافينى بتقرير واف عنها .

قد يكون هذا غير لازم ، ولكن يجب أن أعرف .

الرسالة الثانية

قيصرية

مزيد من الأخبار عن يوحنا المعمدان

لقد أخبرنى يوسف بأن الأمر قد يكون أخطر مما نتصور، وأنه بعد ما جمع من أورشليم ما أتيح له من معلومات وما سمعه من إشاعات، انتقل إلى الجبال لكى يسمع بنفسه ما ينادى به يوحنا، وأرجو أن تكون هذه المرحلة مبعث سرور له.

إن المنطقة التى ظهر فيها يوحنا هى أكثر مناطق الولاية شغبا، وهى منطقة جبلية تتخللها الوديان والأنهار وتمتد حتى وادى الأردن والبحر الميت. ومعظم سكانها من البرص المطرودين والنساك المتهوسين من أمثال يوحنا، كما أنها مأوى للطيور الجارحة والحيوانات البرية.

وقد عكفت على دراسة التقارير التى وردتنى من المبعوثين الخصوصيين الذين أرسلتهم إلى كل أنحاء الولاية، وهى تفيد أن شهرة يوحنا آخذة فى الانتشار، وأن الناس فى كل مكان يتناقلون

أخباره ويتطلعون جميعهم بشوق إلى رؤيته . ولهذا سأكون مسروراً إذا تلقى تقرير يوسف عنه .

هذه هي أول مرة أواجه فيها هنا اضطراباً من هذا النوع ولكني سأضرب بكل شدة وحزم .

أرجوك أن تباشر القضية ضد بومبو نيوس مهما كانت نفقاتها لأني قررت أن أكشف هذا الخبيث على حقيقته وأظهر لؤمه وخسته للخاص والعام ، وسأحفظ حقي في وصول الضوء الكافي إلى بيتي مهما كلفني هذا الأمر .

الرسالة الثالثة

قيصرية

تقرير شاهد عيان عن يوحنا المعمدان

اغتبطت كثيراً لما سمعته عن عزم المسئولين عندكم فى روما على اعتبارى مجرد محصل وجابى ضرائب .

وقد بلغنى من أحد الأصدقاء ـ وأرجو إعفائى من ذكر اسمه ـ أن سيجانوس لا يطمع فقط فى مصاهرة القيصر ، ولكنه بدأ أيضاً يتطاول عليه ويتكلم عنه بازدراء ويصفه بأنه حاكم لجزيرة صغيرة لاسلطان له ، وأن القيصر استدعاه لمقابلته فى اليوم التالى . فهل بلغك هذا النبأ ! ؟

أنا لا أجرؤ على التوسع فى الكتابة عنه ، وإنه لمن حسن الطالع أنه لم يكن لسيجانوس أى دخل فى توليتى منصبى وإلا . . . . . . ، لأنى أعتقد أن القيصر سيمحقه مع جميع أعوانه لتطاوله عليه بهذه الصورة .

لقد عاد يوسف مؤخراً من رحلته ، وعندما اجتمعت به هو والكساندر للتشاور فى أمر يوحنا ،أخبرنى يوسف أنه عانى الكثير من الصعاب فى سبيل تتبعه إذ أنه اضطر لأن يصعد الجبال ويهبط الوديان ، ويتعرض للكثير من تقلبات الطبيعة القاسية . فضلا عن نظرات الريبة والحذر التى كان يرمقه اليهود بها .

وهناك رأى الكثيرين من سكان اليهودية على الطريق ، ولكن الغالبية العظمى من رعايا انتيباس من الجانب الآخر من الأردن ، كما كان هناك أيضاً بعض القادمين من السامرة والجليل .

وقد أخبرنى يوسف أنه عندما وجد يوحنا ، تبعه من قرية إلى أخرى . . فهل تعلم ماذا رأى ! ؟ إنه رأى واحداً من ضباط انتيباس يتبع يوحنا ويجمع عنه معلومات لحساب سيده .

ويقال ان يوحنا الآن فى طريقه للعبور إلى الجانب الآخر من الأردن الواقع تحت حكم أنتيباس ، ولا أعلم إن كنت سأتركه يذهب إلى هناك أم لا ، فيوحنا من أولئك الخطرين الذين أُشير عَلَىَّ بأن أكون على حذر منهم ، وسيكون عبوره أمراً خطيراً .

ويوحنا هذا نصف عريان ونصف متوحش ، ويبدو عليه الهزال

الشديد كما يقول يوسف ، وهذا كله لا يهمنى فى شىء ، إنما المهم عندى هو ما ينادى به ، أو بمعنى أصح ما يفهمه اليهود من تأويل لكلماته ، فهو يبشرهم بالعصر الذهبى الجديد ، والوقت المجيد الذى يرجونه وينتظرونه ، ومفهوم هذا عندهم هو أنه لن يكون هناك حكام أجانب من أمثال هيرودوس ، فلا رومان ولا سلطات أجنبية ولا ضرائب ولا شىء من هذا كله .

هذه هى فكرتهم عن التحرر المرتقب لإنعاش وإحياء المجد الغابر ، ذلك المجد الذى كان لهم على أيدى ملوكهم الأقدمين . وهذا هو سر توافدهم من كل مكان والتفافهم حول هذا الواعظ . ويقول يوسف انهم ينتظرون اللحظة التى يعلن فيها يوحنا أنه هو النبى المنتظر وعندئذ يشتعل الإقليم كله .

لكن يوسف أضاف أن يوحنا لا يتظاهر بأنه هو النبى المنتظر ، مع أنه يفعل ما هو أشرّ إذ يتحدث عن قرب مجىء قائد آخر .

وعندما سألت الكساندر عن هذا القائد الآخر الذى يشير يوحنا إلى أنه سوف يأتى قريباً جداً ، وعما إذا كان هو المسيّا

أو المخلص الذى يقولون عنه ، الذى كان قيافا قد كلمنى عنه ، أجاب بالنفى قائلا انه مكتوب فى كتبهم المقدسة أنه سيأتى قبل هذا المخلص نبى أو رسول يهيىء له الطريق ، ومتى جاء هذا عندئذ يدركون أن مجىء المخلص قد صار قريباً ، ومع أن الكساندر إنسان حكيم ، إلا أن كلامه هذا كان غامضاً .

وها أنت ترى أن الأمر سيان عندى كحاكم رومانى ، فيوحنا يعلن عن نبى قادم سيتبعه مجىء المخلص المنتظر ، وعندئذ يصبح على روما والقيصر أن يفسحا الطريق لعصر جديد .

لاشك أنك تشاطرنى الرأى فى انه لا ينبغى أن أسمح بانتشار مثل هذه الأفكار الوهمية بين الجماهير ، خاصة وأنهم جميعاً تسودهم الآن حالة توقع وترقب تجل عن الوصف ، فكل واحد منهم يحيا حياة الانتظار ، والجو كله هنا مشحون بالترقب .

كتبت إلى قيافا بخصوص يوحنا طالباً رأيه ورأى السنهدريم فيه ، ومشيراً إلى أنه كان يجب أن يبدأوا هم بالكتابة لى عنه ، وسأنفذ قريباً ما اعتزمته ، وأودع يوحنا السجن الذى أعتقد أنه أنسب مكان له لأمثاله .

لن يفوتنى أن أخبرك بشىء مسلٍّ ، ذلك هو أن يوحنا يقول لليهود انه لكى يكونوا مستحقين للدخول فى العهد الجديد القادم يجب عليهم أن يتواضعوا بسبب حياة الشر التى يحيونها فى هذه الأيام . وأعتقد أن هذا الكلام سيكون له عندك نفس التأثير الذى كان له على قلبى ، خاصة عندما تعلم أن اليهود لا يهتمون كثيراً بهذه الناحية من التعاليم المختصة بالسلوك ، لاعتقادهم أنه ليس فى حياتهم حالياً ، كما أنه لم يكن فيها فى أى يوم من الأيام ، ما يؤخذ عليهم مما يوجب هذا التواضع .

والعصر الذى يتوقعونه سيحمل لهم كل الخير ، وهو بحسب اعتقادهم — يعنى وضعهم (أى اليهود) فوق كل الأمم والشعوب .

إن التواضع لازم فقط لغيرهم من الشعوب كاليونان والرومان أمثالنا ، أما هم فأبرار مطهرون فى أعين أنفسهم . ويسرنى فى هذا المجال أن أقف على رأى صديقى حنان فى أمر تواضعه هو شخصياً تنفيذاً لكلام هذا الواعظ الذى يلبس الاسمال ويسكن الكهوف ، مع أنى أعرف رأيه مسبقاً ، خاصة وأن هذه الدعوة ليست بالشىء الجديد ، فقد اعتاد هؤلاء الكهنة على ظهور ومناداة أمثال يوحنا ،

وهم كثيرون فى هذا الإقليم ، لاسيما فى المنطقة التى خرج منها يوحنا ، وهم يحيون حياة التقشف ، ويحتقرون رؤساء الكهنة الذين يعيشون فى أورشليم حياة الترفه والتنعم .

وأنا واثق من أن قيافا وحنان سيتصديان ليوحنا ولكن عندما يشعران أنه قد صارت له شعبية وحظوة لدى الجماهير . وهما يظنان أنه من الأفضل أن يدخلهم إلههم فى عصر جديد ، ولكن بعد أن يأخذ رأيهما باعتبارهما رؤساء الكهنة .

يبدو أن هذه هى فرصتى لإثبات وجودى ولكنى سأنتظر حتى يصلنى رد قيافا ، وأيا كان رأيه فقد عزمت على تشديد الحراسة فى أورشليم ، فما رأيك أنت ؟ أرجو أن يلقى هذا التصرف عندك الرضى والقبول .

الرسالة الرابعة

قيصرية

صور القيصر

لقد حدثنى قيافا عن يوحنا كما أنه أرسل إلىّ رداً رسمياً ينم عن ذكاء بالغ وفطنة منقطعة النظير ، ولعلى أنك تتوق لمعرفة مضمون تلك الرسالة هاك نصها :

« لقد أرسل السنهدريم بمندوبين عنه سألوا يوحنا بن زكريا عما إذا كان هو المسيا أو النبي المنتظر فأجابهم بالنفى ، وعليه فليس هناك ما يبرر محاكمتنا له باعتباره متعدياً للناموس ، كما أنه لاشك عندنا فى أن السلطة المدنية ستتخذ إجراءاتها فى هذا الشأن فى ضوء النتائج التى سيسفر عنها تعليمه » .

وعلاوة على هـــــذا الرد الرسمى أرسل إلى قيافا رسولا خاصاً أخبرنى شفاهاً أنه لن يعترض على أى قرار اتخذه ضد يوحنا إذا كان هذا ضرورياً ، وأنا واثق من أنه هو ورفاقه يودون من قلوبهم أن أتصدى أنا ليوحنا المعمدان . وهى لعبة مكشوفة من جانبهم ، كما

ترى ، لأنه إن كان يوحنا لم يتسبب لهم حتى الآن فى أية مشاكل ، لـكن هذا سيحدث فيما بعد ، ولذا فهم يرجون من كل قلوبهم أن أزيحه من طريقهم وأريحهم منه، لأنهذا عندهم أفضل من مواجهتهم له بأنفسهم . .

ووعدتهم بأنى لن ألزمهم بمواجهة يوحنا ، ولـكن عندى طريقة جديدة أعلِّم بها كلا من الـكهنة وعامة الشعب، وأعرِّفهم من هو السيد الذى بيده الأمر والنهى ومن هو صاحب السلطان هنا .

كنت قد أخبرتك من قبل عن رغبتى فى إرسـال المزيد من الجنود إلى أورشليم إذا ما تفاقم الأمر بسبب يوحنا إلى الحد الذى أرى معه أن هذا الإجراءات ضرورية .

وقد رتبت الأمر بحيث يدخل جنودنا أورشليم حاملين ألوية ترتفع فوقها صورة القيصر . أسمعك تقول أن هـذا ضرب من الجنون، لأنك تتصور ما سوف يترتب علىهذا من صدام قد يتطور إلى حرب علنية ، لـكن يجب أن تـكون واثقاً من فطنة صديقك بيلاطس ، فاليهود لبسوا وحدهم أصحاب الحيلة والدهاء .

إن الجنود سيدخلون أورشليم تحت ستار الليل ، وعندما

يستيقظ اليهود في الصباح ، ويذهبون إلى أعمالهم ، أو يتوجهون إلى الهيكل ، ستطل عليهم من علٍ صور القيصر من فوق الألوية التي سيكون جنودنا قد وضعوها فوق متاريس وأسوار قلعة أنطونيا .

. . قد تقول انهم سيرمونها بالحجارة ، لكن هوّن عليك هذا القول، لأنهم إن فعلوا سأجد فى هذا مبرراً للكتابة إلى روما قائلا ان اليهود قد وجهوا هجوماً مباشراً لصورة القيصر وأعلام الكتائب ، وانهم فعلوا هذا فى الوقت الذى أرسلت فيه جنودى إلى أورشليم فى الليل احتراماً لمشاعرهم ، فماذ تظن سيكون رد روما على مثل هذه الحكاية ! ؟

إنى منذ ذلك اليوم سأصير بطلا. وسوف تخضع لى كل مناطق سورية ، ولا تخش من شىء لأن سكان أورشليم عندما يسمعون أنى قد قبضت على يوحنا ، ويرون النسور الرومانية ترف فوق رؤوسهم سيفكرون ملياً ويعملون حساباً وألف حساب قبل الإقدام على أى عمل من أعمال العنف .

لا شك أن هذا الأمر سيكون صدمة لقيافا ، لكنها فرصة

لكى أفهم هؤلاء أن بلادهم جزء لا يتجزء من الإمبراطورية الرومانية.
وقد زودت ماركيوس بكل الأوامر اللازمة .

مرسل لك آنية سورية أرجو أن تصلك سالمة ، وقد أمرت عبيدى بالمحافظة الشديدة عليها ، وأرجو أن يكون عبيدك أكثر حرصاً من رجالى الذين أخبرتهم أنى سآخذ بالشدة كل من يتسبب فى كسر أية (فازة) أو آنية قيمة أو تمثال .

الرسالة الخامسة

قيصرية

عبء الرومان

أطمع فى أن تعتبرنى مواطناً رومانياً صالحاً ، فقد غادرت روما محملا ببركاتها إلى هذا الشرق الغارق فى الظلام ، واستصحبت معى مهندساً من الإسكندرية وآخر من أنطاكية ، وكلفتهما بوضع خطة لاعادة إنشاء بعض الطرق والحمامات فى السامرة ، كما طالبتهما بإعداد مشروع لمد مدينة أورشليم بكميات وافرة من مياه الشرب من الينابيع الموجودة فى الطرف الجنوبى للمدينة .

وأنا أعلم علم اليقين أنهم لن يشكروننى على هذا ،وإلا فخبرنى متي نال الرومان جزاء أو شكوراً من أهل الشرق على ما قدموه لهم من خدمات ! ! ؟

إنهم هنا يشكون مر الشكوى من الضرائب مع أنها [illegible]د إليهم ثانية فى صورة مشروعات عامة نافعة لهم [illegible] هو ما دعاه

أحد القياصرة « عبء الرومان » ، ولا أذكر إن كان الذى أطلق عليه هذا الاسم هو أوغسطس قيصر أم يوليوس قيصر العظيم. وهذا عبء لا نستطيع أن نتجنبه حتى إذا لم يصادف قبولاً عند رعايانا هنا فى الشرق .

ربما لا تصدق أنه ليس فى السامرة حمام واحد على الرغم من الجو القائظ هنا . إن الحرص على صحة رجالنا من مدنيين وعسكريين يتطلب وجود عدد كبير من هـذه الحمامات . أما عن الطرق فقد اقترحت إعادة إنشاء الطريق الساحلى وطريقين آخرين إلى أورشليم. أحدهما من الشمال والآخر من الشرق . وهـذا سيساعد على سرعة تحرك قواتنا ، كما أنه سيشجع حركة تجارة الحجاج التى ستدر عائداً لا بأس به .

وكذلك مشروع مدّ أورشليم بقدر كاف من المياه ، مشروع حيوى وهـام وأنا أعتبره خدمة جليلة تستحق أن يقام لى من أجلها تمثال فى قلب المدينة ، بل إنه مِنّة يجب ألا تنسى ، ولـكن السؤال الذى يتردد على كل لسان هنا هو من الذى سيموّل كل هذه المشروعات .

وأنا فى الحقيقة لا أدرى كيف يعيشون فى ظل الظروف الحالية وبالأخص فى أيام الأعياد الدينية ، فسكان أورشليم — كما أعلم يبلغون الخمسين ألفاً يزداد عددهم فى المناسبات الدينية حتى يصل إلى عدة عشرات من الألوف ، وفى تلك الأيام تبدو المدينة فى أشد حالات الزحام ، فالناس ينامون فى الشوارع والطرقات وعلى سطوح المنازل ويبلغ عدد المترددين حوالى نصف مليون نسمة يأتون جماعات جماعات من كل أنحاء الولاية ، ولا أدرى من أين لهم الماء اللازم لشربهم ولأداء فرائضهم الدينية .

نعم لا أعلم من أين يأتون به إلا إذا كان يهوه إلههم يمدهم به بطريقة سرية أو معجزية ، أو إذا كانوا يمتنعون عن الشرب فى أيام الأعياد كما يمتنعون عن القيام بأى عمل فى يوم السبت !!

على أى الحالات سوف أمضى فى تنفيذ مشروع المياه وسأحملهم كل نفقاته شاءوا هذا أم أبوا ، لأن العرف قد جرى على أن يتحمل الشعب عبء تنفيذ المشروعات فى كافة الأقاليم فى كل أرجاء الامبراطورية .

لقد أرسلت ماركيوس على رأس فرق الجنود الذين يحملون

معهم صور ثلاثة من القياصرة هم طيباريوس قيصر نفسه، واوغسطس قيصر، ثم يوليوس قيصر، وقبل فجر الغد سيصلون قلعة أنطونيا ، وقد أفهمتهم بنفسى أنه على عاتقهم تقع مسئولية المحافظة على شرف روما وشرف القياصرة ، كما طالبتهم بألا يتحرشوا من جانبهم بأحد من الأهالى إلا متى تطلب الأمر الذود عن كرامة روما واسمها .

وكلفت ماركيوس كذلك بأن يرسل مجموعة من رجاله للقبض على يوحنا ويبعث به إلى قيصرية ، مع علمى بأن هذا سيؤدى إلى نفور الجماهير منى ، خاصة وأن أنتيباس سيلعب دوراً كبيراً فى تعبئة الشعور ضدى ، لكن لا مفر من الإقدام على هذه الخطوة والقبض على يوحنا .

الرسالة السادسة

قيصرية

صدام مع اليهود

عندى لك فى هذه الرسالة أنباء أخطر أسبوع واجهته فى حياتى ، وفى الحقيقة أنا الذى سكبت الزيت على النار ، وهاهى أورشليم تموج بالجماهير الغاضبة الساخطة وحركة الشعب تمتد بسرعة لتشمل كل أنحاء الولاية .

وهنا فى قيصرية من كل جانب تحيط بى كل جماهير اليهود الغاضبة مع أن كل شىء فى البداية كان على ما يرام ، فقد وصلت القوات إلى أنطوانيا فى الليل ، ووضعت صور القياصرة فوق الألوية وفى الشرفات بحيث تمكن رؤيتها من بعيد . ومن أماكن متعددة من الهيكل .

ولا يفوتنى أن أخبرك أنه باكراً ومع بزوغ الفجر يقوم الكهنة كالمعتاد ويستعدون لتقديم ذبيحة الصباح ، ثم بعد ذلك بقليل

يأتى جمهور العابدين ، وهذه عادة طيبة لأنها تلزم الناس بالقيام من النوم مبكرين .

وعندما طلع الفجر اكتشف أحدهم وجود الصور فوق القلعة فصاح صيحة مدوية نبهت الكثيرين إلى وجود الصور فى أماكنها ، فتوجه بعضهم إلى القلعة والبعض الآخر ذهب إلى الكهنة ، بينما حمل آخرون النبأ إلى أطراف المدينة .

ولم يمض وقت طويل حتى كان قيافا فى القلعة يطالب ماركيوس بإبعاد الصور عن مرأى البصر ، لكن هذا الأخير رفض بأدب قائلا ان الأمر ليس بيده وإنما بيدى أنا . غير أن قيافا أخبره بأنه سيلجأ إلى العنف ، وأن مجلس السنهدريم قد عقد جلسة خاصة طارئة وقرر عدم الاكتفاء برفع الأمر إلىّ ولكنهم سيرفعونه إلى القيصر رأساً كذلك ، كما أضاف قيافا أنه سيعلن هذا أمام الشعب ، ولكنه لا يعلم إن كانت الجماهير ستقتنع بهذا الإجراء وتمتنع عن مهاجمة القلعة أم لا ، وظل كل منهما — ماركيوس وقيافا — عند رأيه لا يغيره .

وعلى هذا اجتمعت أورشليم بأسرها فى الهيكل وحول القلعة ،

وكانت الجماهير ترغى وتزبد وهم يلوحون بما كانوا يحملونه فى أيديهم من عصى وأحجار يهددون بها كلا من رجالنا وجماعة الكهنة .

وعندما خرج إليهم قيافا استقبلوه بثورة عارمة واتهموه مع باقى أعضاء السنهدريم بأنهم السبب فى كل ما حل بهم وبهيكلهم من كرب بتساهلهم معنا، كما طالبوه بأن يقدم لهم الضمانات اللازمة للعمل على رفع الصور من أماكنها ، فوعدهم أن السنهدريم سوف يبذل قصارى جهده فى هذا الشأن ، كما أخبرهم بأنهم سيرسلون إلىّ احتجاجاً شديد اللهجة ، وفى نفس الوقت طالبهم بعدم استخدام العنف . كما أخبرهم بأنهم سيطلبون من القيصر تنحيتى عن الحكم حتى إذا أذعنت لمطالبهم ، وطلب منهم اختيار ممثلين لهم يرافقون الوفد الذى سيحمل رسالة السنهدريم إلىّ هنا فى قيصرية ، وذلك لكى يعبروا لى عن مدى سخط الشعب العميق وغضب الجماهير الجارف على الإجراءات الأخيرة وانتهاك حرمة الهيكل وقداسته بوضع صور القياصرة مقابله ، ولكنهم لو عمدوا إلى إشعال نار الفتنة فى أورشليم فإنهم بهذا سيجنون على أنفسهم وبلادهم وديانتهم .

إن قيافا هذا رجل داهية ، لأنه هدأ ثائرة الجماهير ، بما ظن أنه تهديدا لى ، وها هم قد جاءوا إلى قيصرية كما طلب منهم .

نعم أيها العزيز سينيكا : إنهم تركوا كل شيء وراءهم وجاءوا إلى هنا فى مسيرة تعد بالآلاف ، جاءوا من أورشليم وما حولها من كل مكان وصلته أنباء إرسال احتجاج السنهدريم إلىّ ، وأحاطوا بدار الولاية ، وعندما علمت بهذا صعدت إلى سطح القصر — وكان ذلك منذ أربعة أيام — فرأيت الجماهير تسد وتملأ كل الطرق المحيطة بالدار والمؤدية إليها ، وكانوا يتميزون بثبات من يسعى لبلوغ هدف محدد لا يرجع عنه ، وقد ذكرنى منظرهم بجماهيرنا فى روما وهم ذاهبون إلى الملاعب والساحات .

وعلى رأس المسيرة كان قيافا وحنان وجمهور من كهنة الهيكل يقومون على حراستها ، وعندما دخل هؤلاء القصر كانوا فى حالة هياج مزعج ، وكان الشرر يتطاير من عيونهم ، وأقل تحرش كان كفيلا بوقوع مذبحة رهيبة .

وكان قيافا هادئاً فى حديثه معى على عكس حنان رئيس الكهنة الأسبق وابنه اليعازار ، إذ أنهما كانا يتحدثان معى بغلظة وقسوة ، ولكنهم جميعاً كانوا يرغبون فى الخروج من المأزق حرصاً على مراكزهم وخوفاً من أعدائهم فى أورشليم الذين كانوا يتهمونهم

بمالأتنا والتساهل معنا نحن الوثنيين ، وكانت هـذه أكبر جريمة في نظر اليهود المتدينين ، لأنهم كانوا يعتبرونها خيانة عظمى .

ولك أن تتصور ما بذلوه من محاولات في هذا الصدد ،فقد قالوا ان هذا العمل لا سابقة له من قبل ، وأن القيصر كان فطناً على الدوام كما قالوا انهم يعتقدون أنه لا أنا ولا القيصر نرغب في انفجار الثورة التي ستندلع لا محالة إذا لم أسحب أمرى الخاص بوضع صور القيصر .

إن رؤية صور القيصر أمر عادى بالنسبة لى ، لأنها تعلن أن هذه المنطقة خاضعة لنفوذ الرومان ، وهـذه حقيقة واقعة ، كما أن الصور فى نظرى أهون بكثير من الذبيحة اليومية التي كانوا يقدمونها قبلا لقيصر ولرومية .

ولو أننى أذعنت لهم وأمرت رجالى برفع صور القياصرة تحت جنح الظلام فسيشكل هذا سابقة خطيرة ويكون علامة من علامات الضعف أمام تهديداتهم ، كما أنهـا تتضمن كذلك إهانة لقيصر نفسه .

وقد تـكرر مجيئهم إلىّ بصحبة الجماهير الغاضبة ، كما تـكررت

وتعددت لقاءاتى الخاصة معهم ، وكانوا أحياناً يخطبون فى الجماهير ، وقد طلبت من قيافا أن يأمر الشعب بالعودة إلى ديارهم لكنه أخبرنى أنه لا يستطيع أن يأمرهم بأكثر من الهدوء مقابل وعده لهم بعدم السكوت حتى يُجاب مطلبهم .

وأنا لا أعلم على أى شىء يقتات كل هؤلاء ، لعل المنازعات الدينية هى كل طعامهم وشرابهم .

ومع أن الموقف لا يحتمل،لكنى أعترف بأنى لم أجد صعوبة فى مواجهته ، كان فى إمكانى أن ألجأ إلى القوة لكنى رفضت هذا الأسلوب حقنا للدماء خاصة وأن الجهلة الوادعين فى روما وطلاب السكينة والهدوء فى مجتمعكم ، كانوا سيهاجموننى بعنف مع أنهم لا يدركون مانواجهه نحن حكام هذه الأقاليم من متاعب ومشقات فى سبيل القيام بأعباء عملنا .

ومن ناحية أخرى تجدنى لا أريد التسليم بمطالبهم لكى ألقنهم درساً قاسياً ، ولكنى رأيت من الحكمة أن أحاول مبدئياً أن أرجعهم إلى حيث أتوا . ولكن هذا الشعب يرفض تماماً أن يرضخ للحكم الرومانى فضلا عن أنه توجد هنا حركة مناوئة لهذا الحكم وللموالين

له من رجال الكهنوت، وهى حركة قوية على الرغم من أنها بطيئة، وما لم نقاوم عنادهم ونتصدى لكبريائهم ونكسر شوكتهم فى وقت مبكر، فإننا بعد فترة سنجد أنفسنا مضطرين إلى شن حرب أخرى لاسترداد نفوذنا فى اليهودية ، ولو كنت أضمن أن يمدنى المسئولون فى روما بكل ما يلزم من عون وتأييد ، لفعلت ما بوسعى فى هذا السبيل ، ولكنى أعلم مقدماً أنى إن لجأت إلى استخدام القوة سوف ألقى مقاومة عنيفة فى روما .

لكم كنت أتمنى أن تأخذ مكانى لبضعة شهور ! !

سأوافيك بالتفاصيل فى الرسالة القادمة .

الرسالة السابعة

قيصرية

هزيمة بيلاطس

كم أنا مدين بالشكر للإله جوپيتر ، فها هم اليهود قد عادوا من حيث أتوا ، وهاهى الجبال والتلال المحيطة قد خلت من كل ماحفلت به من مظاهر فى الأيام القليلة الماضية .

وإنه لمن دواعى سرورى عدم وجود القيصر فى روما فى هذه الأيام ، حتى لا يقوم البعض بنقل صورة منفرة لما حدث هنا ، وإحاطته علماً بما جرى ، مع أنى أعلم أنه حتى لو حدث هذا فالبركة فيكم أنتم وبقية الأصدقاء، لأنكم بغير شك عندئذ ستتداخلون لمصلحتى. وإن شئت الحق فأنا أخشى أن يعلم القيصر بحقيقة ما حدث ، وإليك تفاصيل القصة أرويها لك بكل أمانة وصدق .

بعد مضى أربعة أيام كانت جماهير اليهود تزداد إصراراً وصلابة ولم يبدُ منهم أى تساهل ، فقد كانوا ينامون ويقومون حول القصر بل ويرددون أيضاً أناشيدهم الدينية ، وكنت تراهم يملأون كل

الشوارع والطرقات المحيطة بالقصر والمؤدية إليه ، أى أن القصر كان محاصراً ، هذا فى قيصرية . أما فى أورشليم فقد أفادنى ماركيوس بأن الحياة قد توقفت تماماً . كما أخبرنى أنه هو الآخر محاصر فى القلعة . كما قال يوسف أن السنهدريم أرسل مندوبين عنه إلى انتيباس وشقيقة والى سورية لكى يتصلا بى ويخبرانى بأن الموقف فى اليهودية على وشك الاشتعال ، وأن هـذا سيكون له رد فعل عنيف فى ولايتهم ، كما اختار الكهنة مندوبين ليرسلوهم إلى روما إذا تطلب الأمر .

وقد عزمت على التهديد باستخدام القوة فى قمع هـذه الحركة وأن أقوم بنفسى بإعلان هذا فى اليوم التالى بصورة مباشرة لليهود المتجمعين فى سوق المدينة فى الصباح الباكر ، وفى نفس الوقت أمرت القوات باحتلال جميع المبانى المحيطة بتلك المنطقة ، وكانت الخطة الموضوعة تقضى بأنه بمجرد أن انتهى من إلقاء البيان تخرج القوات لإجلاء اليهود من ساحة السوق التى تتسع لحوالى عشرين أو ثلاثين ألف نسمة .

وعند وصولى إلى هناك رأيت مشهداً لا يوصف ، فقد تعالى

صراخهم لمدة عشر دقائق وكان أشبه بصراخ المجانين ، ولم أعرف ماذا كانوا يقولون وأعتقد أنهم هم أيضاً لم يكونوا يعرفون ، وقد أحاط الكهنة بالمنبر الذى اعتليته مكومين حزام أمان لحمايتى كما أعتقد ، لكنهم فشلوا فى تهدئة الجماهير .

وأخيراً وقفت وأعطيت إشارة لضباطى كأنما ليغادروا المكان فهدأت ثائرتهم لحظة بعدها صعد قيافا إلى المنبر وأخبرهم أنى سأتحدث إليهم تلبية لطلب السنهدريم — مع أن هذا غير صحيح — وطالبهم بأن يصغوا إلى فهدأوا فى الحال . واتسم حديثى إليهم بروح المسالمة وقلت لهم بأسلوب مهذب أن القيصر لا يرغب مطلقاً فى التدخل فى شئون دينهم وأنى لست أقل من باقى الولاة احتراماً لمشاعرهم ، وأن وضع صور القياصرة لم يكن إلا إجراء إدارياً محضاً وهو متبع فى جميع الأقاليم الخاضعة لنفوذ الأمبراطورية الرومانية ، وأنه لا صلة لهذا الإجراء من بعيد أو قريب بدياناتهم ، ولهذا فلا موجب للاستياء وعند هذه النقطة من الحديث بدأوا يزمجرون وخاصة عند ذكر الخضوع للنفوذ الرومانى ، ثم أخبرتهم أنى كنت أود أن يطلبوا منى طلباً معقولا فأجيبهم إليه ، وطلبت منهم العودة إلى ديارهم فى

هدوء ، وتساءلت عما إذا كانوا يرغبون فى صدام مع قوة روما ، ثم أضفت أنه حتى إذا لم يستجيبوا لندائى هذا فأنا من جانبى لن أفعل لهم شيئا .

بعد ذلك أعطيت الإشارة المتفق عليها فخرج الجنود بكل أسلحتهم وانقضوا على الجموع .

والآن يا أحكم الفلاسفة خبرنى . . . ماذا تظنهم فعلوا ! ! ؟ . . ارتعدوا ! ! ؟ . . كلا لم يرتعدوا أمام بريق السيوف الرومانية وصليلها ، ولم يولوا الإدبار ، لا بل ولم تبدُ عليهم أى بادرة من بوادر الاضطراب أو الاهتزاز . صحيح كان للمفاجأة وقعها فى البداية لكن واحدا من قادتهم كان فى المقدمة قريبا منى ، هذا جاء وركع عند قدمى أحد جنودنا واضعا رقبته تحت سيفه وهو يصيح : « الموت أهون علينا من الاستسلام ». كان هذا ماقاله بالآرامية كما عرفت فيما بعد ، وعلى الفور حذا حذوه كل أفراد الشعب وكذلك الكهنة ، وكانوا جميعاً يتقدمون صفا وراء الآخر ، ومجموعة بعد الأخرى ، وقدموا رقابهم معلنين استعدادهم لتقبل الموت ، وكنت ترى الآلاف منهم كل واحد ينتظر دوره ، وكان منظرا مضحكا حقا .

ومع أنه كان يسرّني كثيرا أن أقطع رقابهم أجمعين، لكن المقصود كان إرهابهم فقط مع تفادى وقوع أية إصابة ، وماهى إلا بضع ثوان حتى أشرت لرؤساء الكهنة لكى يتبعونى للتشاور معا فى الأمر ، وقد طرحت جانبا مسألة الكرامة الشخصية التى حاولت التمسك بها فى البداية . ثم أخبرتهم بأنى قد تأثرت كثيرا جدا بإخلاصهم لدينهم وتمسكهم به إلى حد قبول التضحية بالنفس فى سبيله ، ولم أكن مبالغا فى هذا القول ، كما أخبرتهم أيضاً أن التزام الهدوء وعدم مواجهتهم العنف بالعنف قد ضاعف تأثرى هذا ، فشكرنى رؤساء الكهنة على ما أبديته من شعور ، وخرج قيافا ونقل للجماهير كل أقوالى بنصها وفصها ، ثم أضاف أنه يجب عليهم أن يثقوا بى وبكهنتهم ويعودوا إلى ديارهم .

وسرعان ماتحولوا إلى إنشاد تراتيلهم الدينية ورفع الصلوت والابتهالات ليهوه إلههم لكى يحقق لهم مطالبهم ، وظلوا على هذه الحال يوما كاملا عادوا بعده إلى ديارهم .

لكن ترى ماذا سيحدث لو عاملتهم مستقبلا بأسلوب غير هذا وماذا يحدث لو أن القيصر لجأ إلى العنف وسير جيوشه لردعهم إذا

ماألقى المتعصبون بكل ثقلهم فى المواجهة !؟ لو أن هذا حدث هل ينقذهم يهوه عندئذ !!؟

عندما تصل هذه الأخبار إلى روما أرجو أن تتولى أنت وباقى الأصدقاء نقل صورة طيبة عنها إلى القيصر ، فلم يكن لى من هدف غير تكريم القيصر وصورته بوضعها فوق القلعة طوال الأسبوع المنصرم .

والآن أنا فى انتظار الواعظ يوحنا وسوف يقبض عليه ماركيوس ويودعه السجن ، ثم بعد هذا سيقتله بحد السيف ، وإن ظنوا أن هزيمتى أمامهم فى موضوع الصور إيذان ببدء عهدهم الجديد ، فإنى على الأقل سأحرم أبناءهم من دخول هذا العهد والتمتع به .

كم أتمنى أن أكون فى مجلسك أصغى اليك وأنت تتلو آخر ماد بجته يراعتك من تراجيديات ، وأتمتع بما تزخر به من عواطف جياشة ، كما أتمنى لو أنك كنت حاضراً هنا أيها العزيز لتنقل لهؤلاء المعاندين شيئا من مشاعرك النبيلة ، ثم لتتسلى بمشاهدة مهزلتهم الساخرة .

الرسالة الثامنة

قيصرية

هيرودس يقبض على يوحنا

يسرنى أن أحيطك علما بأن ماركيوس قد عاد ومعه خبران ، أولهما أنى قد أصبحت محبوبا فى أريحاوهى إحدى المدن الواقعة على ضفة نهر الأردن ، وهى مركز تجارى هام وتدر على الدولة عائدا وفيرا من حصيلة الضرائب التى نفرضها على البضائع المارة بها إلى منخفض وادى الأردن .

وكانت قد وصلتنى من الأهالى هناك عدة شكاوى من أعمال السلب التى كان يقوم بها جابى الضرائب وهو يهودى من الرعاع وكان ينهب أموال التجار دون أن يورد لخزينة الدولة منها إلا النذر اليسير ، وكان يشترك معه ويعاونه فى هذا العمل إثنان آخران مقابل جزء من تلك الأموال ، وقد أفشى سرهم واحد من معاونى ذلك الجابى ، لأنه كان يستأثر بنصيب الأسد من تلك الأموال المختلسة.

فقمت بمحاكمة الثلاثة هنا فى قيصرية ثم أرسلتهم محروسين إلى أريحا حيث تم تنفيذ أحكام الإعدام فيهم ، وكان هذا مبعث

سرور بالغ لليهود . ولاتفكو أنهم سرّوا لأنى أرحتهم من مضايقات ذلك المحصـــل وسطوته قدر سرورهم بالتخلص منه كخائن يتعاون معنا . إنهم هكذا يعتبرون التعاون معنا خيانة ما بعدها خيانة ، وهاهم الآن يكنون نفس الكراهية للمحصل الجديد الذى عينته بدلا منه ، ولو أنه نجا من أيديهم فسيكون فى إمكانى الإعتماد عليه .

أما الخبر الثانى الذى جاءنى به ماركيوس فهو أن يوحنا قد مضى ليمارس نشاطه فى ولاية أنتيباس، وكما كان الحال هنا التفت حوله هناك جماهير الفـــلاحين الساخطة ليروا إن كان فى إمكانهم إعلان التمرد ، وأعتقد أن أنتيباس يستطيع أن يتعامل مع يوحنا ومع حديثه عن الملكوت المقبل ، وإن كان بصورة قد لاتبلغ المدى الذى كنت أستطيع أن أعامله أنا به .

وإذا حدث هناك أى شغب فسأضع قواتى تحت تصرفه وأتعاون معه فى إخماد الفتنة ، وستكون هذه خاتمة المهزلة ونهاية لأيام حكمه القصير ، وهو يعلم هذا جيدا .

لقد ظل ينتظر حتى وصل يوحنا إلى ولايته فقبض عليه ووضعه فى قلعة مكاريوس (Machaerus) وهى قلعة كئيبة مظلمة تقع على

التلال الموجودة شرقى البحر الميت . والآن يمكننى أن أقول إن هذه هى بداية النهاية لحكم أنتيباس فى اليهودية .

ولو أنه كان عاقلا لعجّل بقتل يوحنا وانتهى منه لأن هذا هو الأسلوب الوحيد الذى ينفع مع هذا الشعب المتهوس الذى يخلط السياسة بالدين . وأرجوك أن تصدقنى إذ أقول لك هذا .

من جهتى لست غاضبا لأن أنتيباس هو الذى قام بالقبض على يوحنا ، لان هذا سيكون له رد فعل من جانب أتباع يوحنا وهم من الكثرة بمكان ، مع أنى كنت أرجو وأتمنى من كل قلبى أن احظى بشرف القبض على يوحنا لانه أعظم بكثير من ذاك المحصل الذى أعدمته فى أريحا .

الرسالة التاسعة

قيصرية

مشكلة القناة

عندما سمعت أن الوغدين هيرودس أنتيباس وهيرودس الآخر قد رفعا شكواهما ضدى الى القيصر بمجرد علمهما بموضوع الصور، لم أشعر بأية دهشة لأنى لم أجد فى تصرفهما هذا أية غرابة، فهما من أصل دنى. والشيء من معدنه لا يستغرب.

ولولا تدخلكم أنت وباقى الأصدقاء لما نجوت من المكيدة التى دبرها لى ذانك الوغدان، ولهذا تجدنى مقدرا فضلكم وشاكرا لكم تدخلكم لمصلحتى وشاعرا بمديونيتى لكم بهذا الجميل ماحييت.

وقد أرسل إلى القيصر رسالة أشاد فيها بتمكنى من التغلب على المشكلة والوصول إلى حل سلمى لها، كما وبخنى على قيامى بإثارة هذا الموضوع أصلا، وهو على حق فى هذا لأنه كان يجب على أن أقلّب الأمر من كل نواحيه، وأبحث كل ماقد يترتب عليه من احتمالات حتى لا أمنّى بالفشل كما حدث.

إن أنتيباس مشغول جدا بالإيقاع بى ، ومع هذا فقد أرسل إلىّ خطابا كله رياء فى رياء ، أخبرنى فيه أنه منذ عدة أسابيع قام بالقبض على شخص معين يدعى يوحنا ، وهو واحد من أولئك المتدينين المتعصبين الخطرين ، وأنه قد تم القبض عليه داخل حدود ولايته ، ولكن لأن الرجل من رعايا ولايتى وقد مارس نشاطه فيها زمنا ، فانه قرر أن يرسله إلىّ لكى أحاكمه أنا بمعرفتى .

لكنى أخبرته أن رجالى حاولوا فعلا أن يقبضوا عليه غير أنه سارع بالهرب ولجأ إلى ولايته وطلبت منه أن يتصرف مع يوحنا كما يروق له بالنسبة لما قام به عنده ، خاصة وأن عندى من المشاكل الخاصة ما يكفينى ويحتاج إلى جهدى كله . ثم إن تلاميذ يوحنا وأتباعه يسيرون على نفس طريقته ، ويذهبون هنا وهناك معلنين فى كل مكان أن سيدهم سوف يأتى ثانية .

بالنسبة لموضوع إنشاء الطرق والقناة لاأستطيع أن أصور لك مقدار سرورى حين أرى فرق العمال وهى تعمل فى شق الطرق . . . طرق ياعزيزى سينيكا . . . طرق وليس طريقا واحدا ، لأنى أعيد كذلك إنشاء الطريق الساحلى وأيضاً الطريق الآخر الموصل بين الأردن وأريحا .

ولعلك تتساءل لماذا كل هذا الإسراف !! لكنى أقول أن هذا ليس إسرافا البتة لأن المواد اللازمة لقناة أورشليم سوف تأتى عبر هذه الطرق .

وأؤكد لك أنى فخور جدا بهذا المشروع الذى بسببه سيدرج التاريخ إسمى فى سجل الخالدين .

الرسالة العاشرة

قيصرية

أول اشارة ليسوع

يالهم من قوم معاندين أعضاء السنهدريم هؤلاء . لقد عقدت عدة اجتماعات مع رؤسائهم ، وأعطيتهم ثلاثة شهور مهلة لتدبير ودراسة طرق تمويل مشروعات الطرق والقناة ، ولكنني قلق جداً لأنه لأول مرة فى التاريخ سوف يحصل أهالى أورشليم على حاجتهم من مياه الشرب النقية .

وعلى الرغم من أنه مشروع حيوى وصحى ، فانهم لم يتحركوا لتمويله ، والأدهى من هذا أن أحدهم صارحنى بأنهم لا يعيرون مشكلة المياه اهتماما كثيراً لأنها من مطالب الجسد ، وأن مطالب الروح هى الأجدر بالاهتمام . قال لى هذا مع أنهم يحتاجون إلى كميات كبيرة من المياه فى ممارسة فرائض دينهم وبالأخص فى الاغتسال ، وما أكثر ما يغتسلون . ولا أدرى لماذا رغم هذا هم قذرون .

وللعلم يوجد فى هيكلهم إناء كبير به ماء لازالة الدم من الذبائح وتنظيفها ، أى أنه من الممكن إعتبار مشروع القناة مشروعا دينيا

بالاضافة إلى كونه مشروعا صحيا ، وكنت أظن أن هذه الفكرة ستلقى منهم كل ترحيب وتشجيع وأنهم سيبادرون إلى توفير كل ماتحتاجه من نفقات .

أخيرا لمعت فى ذهنى فكرة رائعة ، فواصلت حديثى معهم على أساس أنه مادامت القناة ستمدّ هيكلهم بالمياه ، يمكن دفع نفقات هذا المشروع من خزينة الهيكل ، لكنهم رفضوا هذه الفكرة وقابلوها بغضب بالغ ، قائلين ان هذا يعتبر سرقة وتدنيسا للمقدسات .

فاعترضت على قولهم هذا وطالبتهم بفرض ضريبة على سكان أورشليم تُجمع على مدى إثنى عشر شهرا لرد المبلغ الذى سنأخذه من خزينة الهيكل ، لكنهم رفضوا هذه الفكرة أيضاً وأصر كل منا على رأيه. وأمرتهم بعرض الموضوع على مجلس السنهدريم والردعلىّ ،وكان مقررا اجتماعه من قبل . وكلما فكرت مليا فى هذا الأمر زاد اقتناعى بأنه هو الحل الأمثل لمشكلة تمويل مشروع القناة .

ثم ماهذه الأخبار التى وردت فى رسائلك الأخيرة ، أنزلنا إلى الحضيض حتى أن أعرق البيوتات فى روما ترسل عرباتها للاشتراك فى الألعاب ! ! ؟ لم يكن يخطر ببالى أبداً أنى سأرى كلوديوس فى حلبة المصارعة كواحد من سفلة القوم ، كما أنى أستنكر بكل شدة

وقوف دومتيوس على خشبة المسرح ، وأخشى أن أتوسع فى الدردشة حول هذه التصرفات المعيبة .

بالأمس قام خمسة من الارهابيين بقتل أحد الاحبار، وكان من المتحمسين لمشروع القناة . إنهم طعنوه بالسكاكين وأحدثوا به مايربو على العشرين إصابة ، وليس لدينا أقل أمل فى القبض على المجرمين مع أن الجميع يعرفون أين يختبئون .

وقد وردتنى أنباء عن ظهور واعظ متجول آخر فى الجليل فكلفت يوسف بمراقبته .

كما هربت فتاة يهودية بصحبة تاجر يونانى وهى البنت الوحيدة لأحد رؤساء الكهنة ، وقد طلبوا منى القبض عليها لأنها أخذت معها بعض مدخرات أبيها ، لكن هذا لا يهم لأنه يستطيع تعويض ماأخذته ، فأمرت بالقبض عليها ، وتعقبها الجنود ولكنها كانت قد سبقتهم فى الوصول إلى الميناء وأبحرت بها الباخرة قبل وصولهم .

أنا الآن أنعم برضا بروكولا . ولا أستطيع أن أخفى دهشتى لرسالتك ، لأنه ماذا سيقول القيصر عندما يسمع أن واحدا من أتباع خط كاوديوس قد تحول عنه وأصبح لاعبا بالسيف !؟

أورشليم

موت يوحنا وأسئلة عن يسوع

لقد جئت إلى أورشليم لمواجهة السنهدريم ،وفى هذه المرة أنا أعنى ما أقول ، وستكون مواجهتى لهم حازمة وحاسمة . إنهم رفضوا إقتراحى الخاص بطلب قرض من خزينة الهيكل ولو لبضعة شهور ، وأرسلوا يقولون ان مشروع القناة يجب تمويله من خزينة القيصر ، وإن كان لديهم مايقولونه فمن الممكن تمويله من حصيلة الضرائب العادية التى يتم جمعها من الولاية ، وهى فوق الطاقة كما يقولون .

كما قالوا ان لديهم من موارد المياه ما يكفى لحاجاتهم الدينية وحتى إن كانت المقادير المتاحة لهم منها غير كافية ، فإن الأمر لا يستدعى كل هذا الإسراف .

لكنى طالبتهم بتدبير المال اللازم لهذا المشروع فى أقرب وقت ممكن، وأفهمتهم أنهم إن تأخروا سأكون فى حل وسأتخذ من جانبى كل الاجراءات التى تكفل لى الحصول على مايلزمنى من أموال . وفى الحقيقة لا يمكننى أن أصبر أكثر من هذا على ناموسهم الذهبى الذى

يستندون إليه فى كل صغيرة وكبيرة من معاملاتهم معنا حتى فى أتفه الأمور ، وهم يستمدون أحكامه من كتبهم المقدسة ولكن معظم الأحكام هى من وضعهم ، وقد أفنى المتعلمون منهم حياتهم فى وضع هذه الأحكام خدمة لأجيالهم القادمة ، وربما لاتصدق أن لديهم مجلدات ضخمة فى أحكام فريضة الاغتسال، وأن هناك كتابا أو أثنين يبحثان فى موضوع غسل الأيدى . وقد سمعت أن أحد الاحبار كان محاصرا ولم يكن عنده من الماء أكثر من القدر اللازم لاغتساله ، ففضل إتمام فريضة الاغتسال على الشرب، ومات عطشا إذ لم يبق له مايشرب به بعد أن أغتسل بحسب الناموس ، وأعتقد أن هذا أفضل اختبار يجب أن أجعل حنان يجتازه .

ثم هل بلغك نبأ البغلة المقدسة ! ؟ إنها بغلة واحد من رؤساء الكهنة ويقولون أنها مكثت لعدة أيام ترفض تناول الطعام رغم أنها لم تكن مريضة أو مصابة بسوء ، ولكنها صامت لان الطعام الذى قُدِّم لها لم تدفع عنه ضريبة الهيكل . فهل تتصور هـــذا أيها العزيز سينيكا ! ؟ .

على فكرة انتهى أمر يوحنا بن زكريا ذلك الواعظ المتجول. وقد علمت أن حاكم قلعة مكاربوس قد أعدمه بناء على أوامر سيده

أنتيباس وقد جاء هذا خصيصا من طبرية فى الجليل ليشرف بنفسه على إعدامه ثم ليخبرنى بما تم ، ولكننى علمت أن هناك أسبابا أخرى لإعدام يوحنا غير ما أعلنه لى أنتيباس .

وهل تذكر ماسبق وأنبأتك به عن ظهور واعظ آخر يدعى يسوع ؟ إنه يتخذ الجليل ميدانا لخدمته وقد كلفت يوسف بمراقبته وموافاتى بأخباره ، ونظراً لأننى وضعت ثقتى فى يوسف فقد دبّ دبيب الغيرة فى قلب الكساندر ، فتطوع بإحاطتى علما بكل مالديه من معلومات عن يسوع ، ومن بين ماقاله لى انه كان فى اليهودية وقت القبض على يوحنا فجاء من الجليل لزيارته ثم كرَّ عائدا إلى موطنه الاصلى ، وأنه هناك الآن يمارس نفس النشاط الذى كان يقوم به يوحنا المعمدان ، ويدعو بنى وطنه للتواضع . ومن أجل هذا الامر الاخير أحببته . كما أنه يتحدث كثيرا عما يدعوه ملكوت الله ، وأنه اشتهر بقدرته على صنع المعجزات لشفاء المرضى والمجانين وماأكثرهم بين سكان الجليل ، وربما كان هذا هو السبب فى إلتفاف الكثيرين حوله من هواة الخرافات .

وطبيعى أن هذا لن يروق لأنتيباس بأى صورة من الصور

وسوف يضايقه أكثر إكتشاف الروابط الموجودة بين يسوع وبين أتباع يوحنا المعمدان .

وقد أخبرنى يوسف أن أنتيباس كان حكيما حين أنهى حياة المعمدان ، كما أفادنى أيضا أنه لايزال يتتبع أنباء يسوع ، وما لم يبادر أنتيباس بوضع حد لنشاطه وأعماله فسأرفع شكوى ضده إلى قيصر .

وأنا أجد مسرتى وتسليتى فيما أسمعه عن الخلاف الدائم القائم والمستحكم بين يسوع وبين معشر الكتبة والكهنة ، وهؤلاء دائما يخشون كل مايهدد سلطانهم أو ناموسهم ، وقد طلبت من السنهدريم موافاتى بتقرير ضاف عن كل مايسمعونه عن نشاط يسوع وأعماله وعن كل ماقد يترتب على ذلك من شغب أولا بأول ، وقد فعلت هذا لكى يفهموا أنى أحملهم مسئولية ماقد يقع منهم من تقصير فى هذا الخصوص .

كما أحطت قيافا علما بكل ماتضمنته التقارير الواردة إلى عن يسوع وطالبتهم باتخاذ مايلزم طالما أن للسنهدريم سلطة البت فيما يحدث من هذه المواضيع فى الجليل . وقد تبينت أنهم فى ضوء ماتجمع لديهم من معلومات عن يسوع لم يعودوا راضين عن نشاطه وأنهم أرسلوا بعضا من فقهائهم لفحصه .

إن كان على يسوع نفسه، فهو ابن عامل عادى ، ولكن واحدا من العبيد مثله يدعى سيمون تسبب فى متاعب استمرت لعدةسنوات كما ظهر من قبله أيضاً محتال آخر يدعى آثروغس أحدث فتنة أخرى . فهؤلاء اليهود لايهمهم مركز من يتبعونه ولا رتبته ، إنهم على إستعداد لاتباع أى واحد يرونه قادرا على الحرب والضرب والنهب والقاء الخطب. فما بالك إن كان قادرا على عمل المعجزات !!؟ إنهم يكونون مستعدين لتنصيب شخص كهذا ملكا عليهم.

لكن يسوع هذا إنسان تعيس ، لأن الاقدار قد وضعته تحت رقابة ثلاثية مشددة من جانبي أنا وهيرودس أنتيباس ومجلس السنهدريم ، وهاأنذا فى اليهودية أترقبه وأنتظره .

على أى حال لا يشغل بالى حاليا غير مشروع القناة وهومشروع جليل لايقل فى أهميته عما نفذه هيرودس فى قيصرية من قبل من مشروعات .

والآن أرجوك أن تدلنى على طريقة لتمويل هذا المشروع الكبير أنا مستعد لأن أسمع رأيك فى هذا .

ولكن مهلا ،فان عندى سرا لاأستطيع أن أبوح لك به الآن ، ولكنى أرجو أن تحمل رسالتى القادمة إليك نبأ حصولى على المال اللازم لتنفيذه ، فسوف أبذل كل جهدى مع اليهود فى هذا السبيل .

الرسالة الثانية عشرة

أورشليم

الإستيلاء على جباية الهيكل

لقد وضعت يدى على جباية الهيكل فى الصباح الباكر منذ ثلاثة أيام ، واستوليت على جزء منها ، وإنه لما يدعو إلى الفخر أن يدى لم تمتد إلى خزينة الهيكل نفسها لأن هذا كان يعنى معارك وصدمات واحتجاجات لا تنتهى . قد يبدو لك هذا جبناً ، وأنا أعتذر لك عن هذا راجياً أن تعلم أنه لم يكن فى ذهنى أن أقدم على مافعله سابينوس من قبل حين شن هجوماً خاطفاً على الهيكل فى نفس الوقت الذى قام فيه كراسوس بمحاصرة أورشليم بجيش عظيم وهو فى طريقه إلى بارثيا، ولكنى اكتفيت بما أقدمت عليه من عمل متواضع.

إن هذا هو موسم وصول جبابة الهيكل إلى أورشليم من أقاليم آسيا الصغرى ومصر والفرات ، وهى حصيلة مايجمع من اليهود المقيمين فى تلك البلاد ، وهى تعتبر مورداً من أضخم موارد الهيكل ومعظمها يأتى نقداً ، فضلا عما يأتى معها من هدايا عينية قيمة تستخدم فى خدمة الهيكل وحلى ومجوهرات ثمينة ترسل لتزيينه

وبكل أسف وصلت جباية مصر سالمة إلى الهيكل فى الأسبوع الماضى ، وها هى جباية يهود الفرات فى الطريق إلى أورشليم وعلى مسافة عدة أميال منها تحت حراسة مشددة ، ومن بين مافيها قضيب من الذهب الخالص هدية من تسيفون .

ويتولى اليهود بأنفسهم حراسة هذه الجباية بالإضافة إلى مايقدمه حاكم كل ولاية من حراسة داخل حدود ولايته أثناء مرورها بها .

أما جباية أقاليم آسيا فإنها فى قيصرية فى إنتظار الحرس الذى سيصحبها فى الطريق إلى أورشليم ، وهذه تم احتجازها والإستيلاء عليها دون أى عناء . ولم يستطيع الحراس اليهود أن يقاوموا فمضوا مسرعين يحملون النبأ إلى أورشليم حيث وجدوا أن جباية إقليم الفرات قد لقيت نفس المصير ، وكنت قد عملت الترتيب اللازم فضاعفت قوة الحراسة الموافقة. وعند اقتراب القافلة من قلعة أنطونيا هاجمها ماركيوس برجاله وأدخل الصناديق إلى داخل القلعة . وهذا كله تم فى سرعة بالغة أذهلت رجال اليهود والذين لم يصدقوا عيونهم وهم يرون أبواب القلعة تغلق على الغنيمة من دونهم ، وكان منظراً مثيراً للضحك تمتع به رجالنا . وعندما حاول اثنان منهم أن يقاوما عاجلهما رجالنا بالضرب وأحدثوا بهما بعضاً من الكدمات والرضوض ،

التى لاشك أنهم سيعرضونها على مواطنيهم ، ولحسن الحظ تم كل شىء دون إراقة قطرة دم واحدة .

ولا مجال للمقارنة بين هذا الحادث وحادث صور القيصر الذى وقع فى السنة الأولى لحكمى فى هذه الولاية كما تذكر . ففى خلال ساعة واحدة انقلبت مدينة أورشليم كلها رأسا على عقب ، وراح الناس يصيحون ويهددون بتدمير القناة كما راحوا يتوعدون على أبواب القلعة وجدرانها .

وفى نفس الوقت تولى رؤساء الكهنة بأنفسهم حراسة خزينة الهيكل خشية أن تتعرض لنفس المصير ، وأرجوك أن تعلم أنهم يعتبرون خسارتهم للمال من أكبر النكبات بل أكبرها على الإطلاق .

وهذه المرة لم أشأ أن أضيع وقتاً فحشدت عدداً كبيرا من رجالنا وكانوا يرتدون ملابس مدنية ويخفون أسلحتهم من تحتها ، كما جلبت فى الليل عدداً كبيراً من حامية قلعة أنطونيا ، وفى قصر هيرودس كانت تختبىء مجموعة كبيرة من الرجال كلهم من السامريين والأدوميين ، وقد تخفوا بصورة جعلت من الصعب تمييزهم . وكان عددهم حوالى ألف رجل . هؤلاء أحاطوا بالجماهير المحتشدة وكانوا يشتركون معهم فى الهتاف والصياح .

وبعد الظهر خرجت من فوق بوابة القلعة ،وقلت لهم ان هـذه الأموال سوف تستخدم فيما يعود عليهم بالنفع وبالطريقة التى أراها مناسبة ، ثم أمرتهم بالانصراف . فلم يذعنوا بل ضاعفوا الصراخ والهتاف ضد الحاكم الذى لم يرع حرمة الدين ، وراح بعضهم يقذفون القلعة بالاحجار ، والبعض الآخر كان يقذفنا بالشتائم ويصب علينا اللعنات .

وهنا دقت طبلة، فأخرج أفضل جنودنا أسلحتهم من بين طيات ملابسهم وانقضوا على الرجال الذين صاحوا مذعورين صيحة أعتقد أنها لشدتها قد بلغت مسامعكم فى روما . لم يتمكن الكثيرون من الهرب لضيق الشوارع فأصابتهم أسلحة رجالنا ولا أعرف كم سقط من القتلى لكنهم كانوا كثيرين .

ومنذ تلك اللحظة وكل شيء هادىء ، وقد منعت رجالى من دخول الهيكل فى أثر الجماهير الهاربة . وعندما جاء قيافا وحنان يطلبان مقابلتى رفضت طلبهما . فأرسلوا وفداً منهم فى طريقه الآن إلى روما ، ولكنى مطمئن لأن المقاولين الذين تعاقدت معهم على تنفيذ المشروع ودفعت لهم من جباية الهيكل من أصدقاء سيجانوس الذى سيستخدم نفوذه عند القيصر لصالحهم .

وهكذا تجدنى فى غاية البهجة والسرور لأنى حصلت على المال اللازم لمشروع القناة . وعما قريب سأنتهى منه .

كما أنى بهذا صفيت حسابى مع اليهود وبالأخص رؤساء كهنتهم ولقنتهم درسا قاسياً أرجو أن يفيدوا منه .

أخشى ما أخشاه ألا تعجبك لهجة هذه الرسالة أيها العزيز .

لقد شكوت إلى فى رسالتك الأخيرة من الأحوال فى روما كارتفاع ثمن الطعام وقلته . فلماذا لا تتفضل بزيارتى هنا فى اليهودية لتجديد ذهنك وروحك ! ؟ أتقول ان الذين يعبرون البحر لا يحصلون إلا على تغيير الجو ! ؟ ربما .. لكن إذا جئت إلى اليهودية ستحصل على تغيير ذهنى واضح .

أنا أعلم أنى ميال لاستخدام الشدة مع اليهود ولكنك ستعذرنى وسترى أن هذا الموقف لاغبار عليه . نعم وسوف يتغير رأيك عندما تأتى وتقضى وقتاً بينهم وتراهم عن قرب . لا تخش شيئاً ... ستكون فى أمان ولن يصيبك أقل أذى ، وسيتجمع لديك الكثير من المعلومات عنهم وعن مجامعهم .

الرسالة الثالثة عشرة

أورشليم

درس اسكان الجليل

رأيت أن أكتب لك قبل الخروج فى جولتى التفقدية الدورية فى أنحاء الولاية ، وقد حذرنى كل من ماركيوس ويوسف من سوء استقبال اليهود لى بسبب قيامى بالإستيلاء على جباية الهيكل ، ولكنى أختلف معهم فى هذا الرأى ، لأنه حتى إذا كان ما أقدمت عليه يعتبر فى نظرهم إعتداء على المقدسات ، لكن سكان الأقاليم لايكنون أى حب لجماعة الكهنة — كهنة أورشليم — لأنهم يستأثرون وحدهم بالتقدمات ، ثم إن أورشليم هى وحدها المستفيدة من مشروع القناة ، فلماذا لا يتحمل سكان أورشليم عبء تمويل المشروع ، وبهذا تبقى موارد الهيكل للهيكل .

بل إننى أعتقد أنه ربما كان لى نصيب من محبة الشعب لأنى كنت قد أخبرتهم أن مجلس السنهدريم كان يرغب فى أن تكون حصيلة الضرائب التى يتحملها الشعب هى المصرف المالى للمشروع وفى هذا ما فيه من عبء ثقيل على الشعب .

وها نحن الآن بعد مضى شهر على تلك الضربة التى هنأنى عليها كل أصدقائى ، وقد انقضى هذا الشهر دون أن يحدث ما يخل بالأمن سوى حادث واحد ، وحتى هذا الحادث لم يكن له أى تأثير على مخططاتى . وقد حظرت التجمهر فى الشوارع ، كما منعت الاجتماعات العامة . وبهذا وضعت حداً لتجمعاتهم عند زوايا الطرق ، ومكمن الخطر لم يكن فى الكهنة والكتبة أنفسهم ، وإنما فى الشبان الذين كانوا يرتادون اجتماعاتهم ويتأثرون بمحاضراتهم . وأخص بالذكر من بين هؤلاء شاباً عنيداً قوى الحجة جهورى الصوت من مدينة طرسوس ، هذا كان كثير الكلام وشديد الغيرة والحماس ، وعند إلقاء القبض عليه قال إنه رعية رومانية ، فأمرت أحد قوادنا بأن يهمس فى أذنه ويوصيه بتجنب الوقوع فى المحظور ومخالفة الأوامر حتى لا نضطر إلى قتله إن هو حاول الهرب كما هو متبع بالنسبة للرعايا الرومانيين .

فى الأيام القليلة التى أعقبت الحادث مباشرة كانت هناك على الجدران إعلانات وعبارات ضدى وضد القيصر امتلأت بها كل المدينة ، وقد أمسكنا فى ليلة واحدة ثلاث فرق كان أفرادها يقومون بكتابة هذه العبارات على جدران قلعة أنطونيا ، ورغم هذا ففى الصباح وجدنا الإعلانات تملأ جدران القاعة .

وقد أشرت من قبل إلى حادث خطير وقع من أهالى الجليل الذين حضروا إلى الهيكل ، وهم مكروهون من يهود أورشليم الذين لا يعتبرونهم من الجنس اليهودى الخالص ، ويمكن اعتبارهم من الفينيقيين واليونانيين وباقى السلالات السورية الأخرى ، لكنهم يعتبرون أنفسهم يهوداً لا فرق بينهم وبين غيرهم من اليهود الآخرين إن لم يكونوا أكثر منهم تحمساً ضدنا نحن الرومانيين بوجه خاص ، سيما وأن حاكمهم أنتيباس نصف يهودى ، ولذا تراهم يشمخون بأنوفهم عندما يزورون أورشليم .

هؤلاء جاءوا إلى أورشليم منذ أسبوعين بعد أن بلغتهم أنباء استيلائى على جباية الهيكل ، ولم يكن لديهم علم بأوامر حظر التجمهر وعندما وصلوا إلى قلعة أنطونيا بموكبهم الصاخب أرسلت إليهم محذراً ومنذراً ومذكراً بالتعليمات ، فلم يأبهوا وأعلنوا أنهم جاءوا خصيصاً لكى يحتجوا على التقدمة التى اعتادوا تقديمها لرومية ولقيصر فتعقبهم رجالنا حتى الساحة الخارجية للهيكل حيث أعملوا فيهم السيوف فسقطوا صرعى وهم يشترون الحيوانات اللازمة لتقدماتهم ، والذين نجوا منهم عادوا فى نفس اليوم إلى ديارهم . وأعتقد أن أخبار ماحدث لرفاقهم سيكون تحذيراً لباقى سكان الجليل ولكل من تساوره نفسه فى الإقدام على أى عمل .

وقد أرسلت لأنتيباس تقريراً بتفاصيل ما حدث ورجوته أن يطالب رعاياه بالمحافظة على الهدوء والنظام .

لم أسترح كثيراً للأنباء التى تضمنتها رسالتك عن تسلط رجال المخابرات وما يقومون به من كبت للحريات ومنع الناس حتى من حق الشكوى والتظلم مما يقع عليهم من ضير ، وفى هذا ما فيه من إضرار وإلحاق الأذى بالغير من الأبرياء ، مع أن الواجب يقضى بتأمين سلامة كل واحد من أفـــراد الشعب الرومانى وحقه فى الاحتفاظ بمن يقوم بإعتاقهم من عبيده .

إن لدىّ هنا الكثيرين من هؤلاء المخبرين السريين ، ولكنى لا آخذ تحرياتهم كقضية مسلم بها حتى فيما يتصل بأعدى أعدائنا من الكهنة والكتبة ، ولكنى أصر على عمل مواجهة بين الشاكى والمشكو فى حقه ، فما رأيك فى هذا ؟

صحيح يجب أن نأخذ المتمردين بالشدة ولكن ليس على حساب العدالة الرومانية .

كلمة أخيرة . . . . . أرجو إفادتى تحت أى بند من بنود العدالة يمكن أن تدرج عملية الإستيلاء على أموال الهيكل المقدسة ! !

الرسالة الرابعة عشرة

قيصرية

رجال أنتيباس يجمعون معلومات من الناصرة

قضيت قرابة الشهر متجولا فى المناطق الشمالية من الولاية ، متفقداً الأقاليم الأمامية ومتباحثاً مع ضباطى ، وقد سمعت منهم الكثير وتحققت من صحة ما سمعته عن قلة المحصول ، وفى أماكن كثيرة كانت حال الناس فعلا فى غاية السوء ، كما علمت أن المجامع كانت مراكز للتشهير بى وتعبئة الشعور العام ضدى .

وقد جمعت شيوخ القرى واستمعت لشكاياتهم من الضرائب وعجز مواردهم عن الوفاء بها ، فوعدتهم بأنى عندما أعود سأرسل لهم معونات عاجلة. وفعلا أرسلت لهم بعضها بمجرد وصولى إلى قيصرية وخلاصة القول أعلن لك أنى متفائل.

وفى أثناء وجودى مع أهل السامرة شعرت بسرور بالغ لما تطفح به نفوسهم من كراهية بالغة لكهنة أورشليم ، الذين يعاملونهم كالكلاب ويمنعونهم من الاقتراب من الهيكل ، بينما يعتبر

السامريون أنفسهم أفضل من أولئك اليهود ، علما بأن لهم نفس الخصال العامة ، فيوماً تراهم مزارعين وآخر يكونون قطاع طرق ، تارة ترى فى أيديهم أدوات الزرع والقلع ، وأخرى أدوات السلب والنهب والأسلحة يرفعونها فى وجه الحاكم الرومانى أياً كان شخصه .

ولحسن الحظ لم يحدث منهم أى مضايقات خطيرة طوال السنوات الثلاث الماضية غير ماقام به ڤاليريوس ، وحال الولاية اليوم أفضل بكثير مما كانت عليه قبل مجيئى ، مع أنها لازالت تحتاج إلى الكثير من الإصلاحات .

فى بداية جولتى صحبت بروكولا إلى شواطىء الجليل وهى الآن فى زيارة لإحدى زميلاتها فى الدراسة وهى زوجة والى سورية ، وقد أوصلتها حتى الطريق المؤدى إلى دمشق ويصحبها الكساندر فى هذه الزيارة ، وقد كلفته بأن يلتقط لى من الجليل ما يستطيع جمعه من أخبار يسوع ، وبعد ما أوصل بروكولا إلى دمشق قام بزيارة خاطفة إلى الناصرة وهى البلدة التى جاء منها يسوع ، وهناك زار أسرته حيث وجد رسلا من طرف أنتيباس يتقصون أخباره ، وكان أهله يخشون أن يدلوا بمعلومات تترتب عليها معاقبته ، ويبدو أنهم

أرسلوا البعض منهم لكى يأتوا به إلى القرية ضماناً لسلامته أو سلامتهم هم بمعنى أصح ، لكنهم لم يجدوه لأنه كان ينتقل بسرعة من مكان إلى آخر كما يفعل جميع أولئك الوعاظ .

وقد قالت الأسرة لرجال أنتيباس ان يسوع هذا إنسان شاذ مختل العقل ، وأنه كثيراً ما جلب لهم المتاعب ، وأنهم حاولوا التأثير عليه لكنهم لم يفلحوا فى منعه من مزاولة نشاطه لأنه لا يخضع لهم .

ومن يوم إلى يوم يتضاعف عدد تابعيه الذين لا يقبلون أى مساس به، وهكذا صار هؤلاء الاتباع مرتاعين، يتبعونه وهم فى ذهول وقد كتبت لقيافا طالباً الإفادة عن الإجراءات التى اتخذها السنهدريم حيال يسوع .

ثم هل تذكر ذلك التاجر الذى أخذ بنت أحد رؤساء الكهنة وهرب بها ! ؟ إنه عاد بمفرده أخيراً إلى قيصرية فى أثناء غيابى عنها، وقال ان الفتاة قد هجرته ، ولكنهم يقولون انه خبأها فى إحدى البلاد الإفريقية ، وان اليهود هناك أرسلوا أخباراً عنها إلى ذويها فى أورشليم .

إن هـذا اليونانى الغبى قد سعى إلى حتفه بظلفه ، فمضى إلى أورشليم ضاربًا عرض الحائط بما وجه إليه من تحذيرات قابلها بتعليقات وقفشات مرحة ، ثم أضاف أنه قد اعتنق اليهودية وأنه ذاهب إلى أورشليم للبحث عن يهوه ، وكان طبيعيًا ألا يبقى له أثر هناك إذ قتله إخوة تلك الفتاة وهم من الشبان الخطرين .

يبدو أن الأوضاع فى روما قد باتت مجونًا فى مجون ، واعتقد أنك تأسف فى قلبك على هذه الأوضاع .

الرسالة الخامسة عشرة

قيصرية

محاولة لتنصيب يسوع ملكا فى الجليل

سعدت برسائلك التى وصلتنى دفعة واحدة بعد وصول السفن جميعها معا ، إذ كانت محتجزة لفترة طويلة لسوء الأحوال الجوية .

ولأول وهلة ظننت أنى قد أصبحت شخصية هامة جداً فى تصريف أمرر الدولة . وقد نسيت أنى لست سوى ترسٍ صغير فى الآلة الضخمة التى يديرها القيصر .

وعندما فتحت الرسائل وعلمت بما فيها أصبحت أتمنى لو كنت عائشاً بينكم فى روما مدينة الصخب والدخان ، كإنسان عادى يعمل فى محكمة أو فى مجلس الأعيان أو فى المسرح أو حتى أجلس فى غرفة الإنتظار الملحقة بمكتب سيجانوس .

لا توجد هنا أحداث ذات بال ، ولهذا لا أجد ما أقوم به ، ولا أعلم متى تغير روما طريقتها فى الاهتمام باليهودية ، وتبحث لها عن

أساوب آخر غير أساوب الحروب التى لا هدف لها من ورائها غير إيجاد مراكز يتبوأها نبلاؤنا العاطلون، علماً بأنه كان لى فيها نصيب.

وها نذا أبحث عما أسرده لك من أنباء ردا على مجموعة الرسائل التى أرسلتها لى أخيراً .

إن بروكولا أبصرت يسوع عن قرب واستمعت إليه ، وقد قالت انه بمجرد مرورها فى الجليل فى الطريق المار قرب البحيرة بدأت تسمع هى والكساندر شيئاً عنه ، وكان الكساندر الماكر يدس أنفه هنا وهناك يلتقط الأخبار. ويبدو أن كل واحد فى الجليل جعبته مليئة بأنباء معجزة أجراها يسوع مع شخص حدثه عنها واحد من أصدقاء أو أقرباء صديق لهذا الشخص. وكان فى الجليل جمع كبير من أهل اليهودية يسيرون خلف هذا الواعظ تاركين وراءهم كل أعمالهم ومهامهم .

وقد دبر الكساندر لبروكولا بيتا ريفيا فى مواجهة الطرف الشمالى للبحيرة ، وبينما هى فى الطريق إلى هناك ... إليك القصة كما روتها هى وبأسلوبها : « لقد فوجئنا بحشد كبير من الناس يتدافعون أمامنا ويتدفقون فى إتجاه البحر ، بينما راح كثيرون يتبعونهم فى الطرق الأخرى عبر التلال ، ولم يلحظ وجودنا أحد منهم . وكان

هؤلاء يهودا من كل نوع ومعظمهم من الرجال الأقوياء المخلصين ، كما كان بينهم بعض المرضى والمتعدين ، منهم من كان يزحف ومنهم من حمله أصدقاؤه المقربون ، وكلهم كانوا يشيرون إلى قارب يسير بمحاذاة الشاطىء ، فى البداية ظننتهم غاضبين لكن الكساندر أخبرنى أنهم ينادون على يسوع الذى كان هناك فى القارب ، ويرجونه أن يأتى ويعلمهم ، وكانوا يتكلمون بالآرامية التى لا أعرفها ، وعندما سألت الكساندر عما يقولون هز رأسه بإستياء قائلا ان هذا عمل غير لائق . ولم يشأ أن يخبرنى غير أنه قال لى فيما بعد .

«عندما رسا القارب عند البيت الريفى رأيت الناس يندفعون بسرعة نحو الشاطىء ، واستأذن الكساندر للذهاب وراءهم ، فطلبت منه أن يصحبنى فذهبنا معا . لا تخف فإن معنا حراسة كافية . بعد نصف ساعة وجدنا الشاطىء يموج بالجماهير ، وكان يسوع واقفاً على ربوة عالية يعظهم ويعلمهم ، وفى المؤخرة كانت هناك جماعة من وجهاء أورشليم ، عندما رآهم الكساندر همس فى أذنى بأنهم جواسيس من أورشليم جاءوا يراقبون ويسمعون ، ثم تركنى ومضى ليتحدث معهم .

«لقد رأيت الواعظ بوضوح . وهو شخص ملىء بالثقة فى نفسه مترفع ونحيف . فى البداية كان الناس فى هرج ومرج ، كما كانت هناك مقاطعة

لكلامه ارتفعت من الصفوف الخلفية التى لم تكن سامعة ، ولكنه أسكتهم ببضع كلمات ،وكأنه قائد يلقى الأوامر على رجاله فينفذون ، وكان كلامه يدل على أنه واثق من أن الجميع سيذعنون له فى كل ما يقول .

«ثم بدأ حديثه هادئا ،وشيئاً فشيئاً رفع صوته حتى صار واضحاً ومسموعاً عند الجميع . وكان رجال أورشليم يحادثون بعضهم البعض ، وقال لى الكساندر انه كان يرقبهم وأصدقاءهم طول الوقت . ولم يكن فى كلام يسوع ما يحمل أى تعبير عن أى معنى من معانى المرارة أو الألم ، وقليلا قليلا بدأ صوته يخفت حتى صمت فى خشوع وكأنه لا يشعر بهذا الحشد الهائل الملتف حوله . فسرت همهمة بين الجماهير لكن فى غير غضب وحاولوا التقدم نحوه إلى الأمام ، وكان الكساندر شاخصاً إليه لا يقدر أن يحول بصره عنه لدرجة أنه لم يتنبه إلى أسئلتى التى كنت أوجهها إليه . وسمعته يغمغم « مرة أخرى أفضل » . ثم يضحك فظننته يكرر بعض ما قاله الواعظ ،لكنه راح ينظر إلى رجال أورشليم . ثم التفت إلى وقال انه يجب أن يوافيك بتقرير .

«وفجأة حدث شىء غريب إذ رفع يسوع يده وقال شيئاً بصوت عال ، فتدافع الجميع نحوه ثم جلسوا كلهم على العشب فى حلقة كبيرة

من حوله فيما عدا أولئك الرجال الجواسيس — إنهم لم يتحركوا من أماكنهم وظلوا واقفين ، وأنا واثقة من أنه سبقت لى رؤية بعضهم يذهبون إلى السنهدريم .

« بعد ذلك نادى يسوع على بعض الأشخاص من الواقفين قريباً منه فأحضروا له خبزاً كسره إلى كسر صغيرة جداً ، كان من الصعب علىّ أن أراها وأنا فى مكانى ، ثم أعطى الكسر لهؤلاء الرجال وهم بدورهم راحوا يوزعون منها على الناس الذين راحوا يأكلون ، بينما كان الواعظ يواصل الحديث . وكم تمنيت لو كنت أستطيع أن أفهم ما يقول ، كل ما فهمته من الكساندر هو أن الواعظ كان يدعوهم بإتباعه ، وأن عمله هذا عمل دينى محض ، وأن أكل الخبز يعنى أنهم قد ربطوا أنفسهم به ليحيوا مثله ويحذوا حذوه ويعملوا بما تعلموه منه ، ثم أضاف الكساندر أنه أمر خطير ينبغى النظر إليه بعين الحذر حتى وإن كان لا ينطوى على أى إجراء حربى .

« وأغرب ما فى الأمر هو ما تبع هذا من أحداث . فبعد أن انتهت الوليمة وأكل الناس بدأ الرجال يتحدثون فيما بينهم . ثم بدأ الاضطراب يسود المكان تدريجياً ، فلمحت يسوع يقول شيئاً للرجال الواقفين بالقرب منه ، ثم رأيتهم يجرون مسرعين نحو البحر ويسحبون

القارب نحو الشاطىء ، وعندما لاحظ الناس أنه على وشك ترك المكان هاجوا وماجوا والتفوا حوله. وكان بعضهم يحملون فى أيديهم النبابيت والسكاكين والعصى، وراح بعضهم يصيح مهدداً ، والبعض الآخر يبكى متنهدا ، بينما سقط كثيرون عند قدميه ، وكل ما استطعت أن أدركه أنهم كانوا يكررون ما كانوا يقولونه وهم فى الطريق إلى البحر .

«فى تلك اللحظة لم يكن الكساندر معى لأنه كان فى شبه غيبوبة وسمعته يردد الكلمات.. « ملك . . ملك إسرائيل .. ملك اليهود . . للمسيا » . ولا أعرف ماتعنيه هذه الكلمة الأخيرة (المسيا) ، لكنك تعرف معناها بلا شك . هنا خرج الكساندر عن طوره ، وكانت معاملته لى غير طبيعية حتى اضطررت إلى (زغده) فى كتفه لكى أنبهه إلى الرد على كلامى وأسئلتى .

«وقد استطعت أن ألاحظ أن يسوع كان يرد الجماهير عن نفسه ولا يصغى إلى أقوالهم، ثم أبعدهم عنه ببعض الكلمات والإشارات وأنا واثقة من أنه كان يوضح لهم أنهم قد ارتكبوا خطأ جسيما فيما فعلوا .

«إنه دائماً عند رأيه.... فأقام الراكعين عند قدميه وألزم الآخرين بإنزال أسلحتهم . وكان فى هذه اللحظة جريئاً وحاسماً . ثم أخذ طريقه

نحو البحر وحاول بعضهم منعه من الرحيل فلم يفلحوا ، ولهذا بدت على وجوههم إمارات الخيبة والفشل ، وعندما قلت لألكساندر انه غضب عليهم لأنهم نادوا به ملكا عليهم،أجابنى أنه رفض أن يملك عليهم لعلمه أن هذا سيكون بداية النهاية له .

«هناك ملحوظة أخرى..قبل أن يصعد يسوع أسرع إليه رجال أورشليم وتحدثوا معه حديثاً قصيراً ، ومع أنى لم أستطع أن أسمع شيئاً من حديثهم معه إلا أنه كان واضحاً أن كلا منهم يعتبر الآخر عدوا له ، أما هو فرد عليهم ردا مقتضبا ثم أدار ظهره لهم ومضى مسرعا ، وعاونه بعض أتباعه على الصعود إلى القارب وأعتقد أن هؤلاء كانوا متحيرين وربما خائفين أيضا ، أما هو فلم يظهر عليه أى أثر للخوف ، فقد كان يتحدث كمن عنده الإستعداد لمواجهة كل الإحتمالات والوقوف حتى فى وجه العالم بأسره . وأيا كان الكلام الذى وجهه إلى أولئك الرجال الذين من أورشليم ،فقد رأيتهم يتهامسون بإنشراح وعندما غادرت المكان كانوا يتجولون بين الناس فى نشاط النحل ، وقد علمت أنهم كانوا يتوعدون يسوع لأن عيونهم كانت مثبتة عليه وهو فى القارب ، وها هو الكساندر مشغول فى إعداد التقرير الذى سيرفعه إليك » — إلى هنا انتهت رسالة بروكولا .

« ملك اليهود » لاحظ هذا جيدا أيها العزيز ... نعم أنا أعرف أن هذا فى الجليل فقط ،وليس هناك ما يزعجنى، ولكنى سأطلب من أنتيباس ملاحظة ذلك جيداً .

أتريد أن تعرف ماتضمنه تقرير الكساندر ! ؟ إنه يقول فيه :
« .. الأمر فى الجليل متوقف على كلمة واحدة منه لكنه لا يقولها ، والجميع هنا فى حيرة من أمره حتى وهم منجذبون إليه . لقد شفى مرضى كثيرين من حالات يصعب البت فى صحتها ، وكان الناس من حوله كالطين فى يد الفخارى ، لا أحد يعترض أو يعارض ، لكن حدثت مصادمات بينه وبين كل من الكتبة والكهنة. فهو يهاجمهم ويهاجم ناموسهم بعنف شديد ، لقد كان مرعباً ومسهبا فى أقواله ضدهم ، وبهذا سيهدم كل ما للكهنة من سلطان وتسلط على شعب اليهود ، ولا شك فى أن هذا سوف يثير حفيظتهم عليه ، لأنهم لن يغفروا له هذا وسيقتلونه عندما يرون أن الجماهير قد بدأت تنصرف عنه ، وتوجد دلائل كثيرة تشير إلى أن الناس قد بدأوا فعلا ينقلبون عليه لأنه خيب آمالهم فيه وصدهم بشـــدة عندما ظنوه ملكهم الجديد ومخلصهم المنتظر ، وعندما رفض أن يملك عليهم كطلبهم وتركهم ومضى عبر البحر راحوا يشيعونه بنظرات ملؤها السخط والغضب .

أنا أعتقد أنه لا يعتبر نفسه الملك أو المسيا ، كما أعتقد أيضا أنه

يخشى أن يظل الناس يعاملونه على أنه هو مخلصهم المنتظر تحت تأثير ما يجريه من أعمال الشفاء ، وأنه لهذا السبب عجل بإنهاء خدمته ليمنعهم من التمادى فى هذا الإعتقاد . إنه يسعى جاهدا لتجنب ما يخشى وقوعه من أخطار .

إنه يهاجم السنهدريم وناموس اليهود ، وبعض مرسليهم كانوا فى الجليل ، ولا يزال بعضهم موجودا هناك حتى اليوم، وأعتقد أنهم لن يجدوا فرصة للانقضاض عليه والنيل منه لأن أنتيباس سيلقى القبض عليه ما لم يبادر هو بالهرب .

كما أن أنتيباس لن يستطيع أن يعمل له شيئا هو الآخر ، لأنى سمعت أنه عبر إلى الجانب الآخر من البحر لكى يحتمى فى ولاية هيرودس فيلبس ، ولو بقى هناك فسيقبض عليه فيلبس ، وإذا عاد أدراجه إلى الجليل فسوف يلقى هناك نهايته .

ولعله من الأفضل أن نطلب من رئيس الكهنة تقريرا عنه يتضمن وجهة نظره ورأيه فى هذه الحالة . وهكذا ينتهى تقرير الكساندر .

وها أنت ترى أيها العزيز سينيكا أن هناك بطلا آخر فى طريقه إلى العرش والملك ، وفى هذا مافيه من إزعاج لى خاصة وأنه رجل

محبوب ، قد تقول ان الناس هم الذين يعتبرونه هكذا ويدعونه ملكا، ولكن هذا لن يغير من الامر شيئا .

ولئن كان يسوع هذا حريصا على حياته ، فإنه سيتجنب المجيء إلى هنا ، أما إذا إستطاع الإفلات من يد أنتيباس فسأقبض عليه أنا بيد من حديد ، مع أنى متعاطف معه فى شيء واحد هو عداؤه للكهنة والكتبة وناموسهم ، وآه .. ليتهم لم يقولوا عنه إنه « ملك اليهود » ، لأن هذا هو مكمن الخطر أيها العزيز .

لكن بعد أن يتم القضاء عليه ليقولوا عنه مايشاؤون .

بالمناسبة وجدت جثة التاجر اليونانى مشوهة تحت كومة من الأحجار خارج أورشليم . ويبدو أنهم قتلوه بالدبابيس ، أما الفتاة اليهودية التى كانت قد هربت معه ، فإنها هربت إلى روما بصحبة واحد من الممثلين المصريين ، وطبعا أنت تعلم مقدما ماسوف تنتهى إليه هناك .

الرسالة السادسة عشرة

قيصـــرية

يسوع يهرب إلى سوريا

ليتنى كنت عندكم هناك فى خير المدائن لأرى جماعة اليهود المطرودين ، تلك الثلة من الحائكين الماهرين والحائكات الماهرات والمرابين والممثلين المزليين الذين أمر القيصر بنفيهم .

أنا معك فى أنه ليس من العدالة أن يؤخذ البرىء بجريرة المذنب ، وهل يمكن أن أقرر نفى الشعب كله من هنا بسبب جماعة الكهنة الأشرار الذين يستأثرون بكل خيرات الهيكل ويستخدمونها فى أغراضهم الشخصية ! ! ؟

نعم أوافقك على أن هذا ظلم ، ولكن كل الناس فى جميع أطراف المسكونة يعلمون أنهم مذنبون ويستحقون هذا العقاب ، ولن يوجد على وجه كل الأرض شخص واحد يشفق عليهم أو يتعاطف معهم .

والآن يحيرنى سؤال : « ترى إلى أين سيرسلهم القيصر !! ؟
أنا أطلب من « يهوه » ألا يقذف بهم إلى اليهودية .

لقد كان الكساندر على حق فيما قال ، فقد هرب يسوع إلى الناصرة منذ عدة أسابيع ، ولم نسمع شيئاً عنه ، إنه ليس فى الجليل ولا فى ولاية هيرودس . ولا بد أنه يذهب إلى الشمال إلى سورية حيث لا أحد يعرفه هناك .

دعنى أخبرك أولا عن قيافا ذلك الثعلب المخاتل ، إنه أرسل إلىّ عدداً من التقارير شبه الرسمية وأنا أعرفه جيداً . إنه يضع عيناً على الحاكم الذى له من السلطان ماتعززه القوة العسكرية والإمبراطورية الرومانية ، بينما يضع الأخرى على الفريسيين الذين يعتبرونه من المتعاونين معنا ويناصبونه العداء لهذا السبب . كما أنه ينظر بعين الإعتبار إلى الشعب الذى قد ينقض عليه وعلى رفاقه إن لم يكن اليوم فغداً تحت أى مؤثر ، ثم هناك أيضاً المشاكل المعلقة بينه وبين كل من الكهنة والكتبة الذين يتميزون بغيرتهم على الناموس وحبهم له ويعتبرون أنفسهم خير حماته ، وأنهم لا يقلون عن قيافا غيرة عليه .

لقد كتب هذا يقول ان يسوع رجل مختل العقل بشهادة أهله وذويه ، ولكن سواء صح هذا أم لا فإنه استطاع التأثير على عقول البسطاء والسذج فتبعوه تاركين واجباتهم الدينية والمدنية ، كما أضاف أن مندوبين عن السنهدريم قد راقبوه مراراً وتكراراً وألبوا عليه الجماهير ، وأن نتيجة هذا سوف تظهر فى أقرب الأوقات . فسوف يترصده الناس ويتربصون به وسوف يقع فريسة لهم وينقضون عليه لتجديفه وتعديه على الناموس ومقاومته للسلطات ، نفس الكلام الذى قالوه عن يوحنا .

وهم بهذا يعتقدون أنهم يستميلوننى إليهم . تباً لهم هؤلاء الكهنة الذين يقحمون السياسة فى كل شىء ، وليس هذا بغريب فاليهود كلهم رجال سياسة بما فيهم رئيس الكهنة .

كما أن لدىّ تقارير أخرى من الجليل تفيد أن الواعظ قد قام بعدة زيارات خاطفة لولاية فيلبس حيث وجد أن الرأى العام قد تألب عليه . والأحداث التى ذكرها لى كل من الكساندر وبروكولا كان لها تأثيرها المباشر على تابعيه وبالأخص عندما رفض أن يكون ملكا لهم . إنه لن يملك عليهم كما أنه لم يصرح لهم بأنه هو المخلص

الذى ينتظرونه ، ويبدو أنه لا يرغب فى أن يتبوأ أى مركز كما ذكر الكساندر فى تقريره .

وبعد رفضه الملك قام الاحبار فى أورشليم بالتشهير به فى كل مكان لإثارة الجماهير عليه باعتباره متعدياً للناموس ، وأنا ميال إلى تصديق ما يقال عن محاولة اغتياله فى الناصرة ، وأعتقد أن لدى ذويه أسباباً وجيهة لتبرير هذه المحاولة التى أقدموا عليها .

وهكذا يستبين لك أن يسوع قد أصبح الآن وحيداً ، فتابعوه انصرفوا عنه وهذا يفسر لنا سر اختفائه فى الشمال .

بقى أن أخبرك أن الهدوء يسود كل مكان فى الولاية ، وأرجو أن يستمر هذا الهدوء ويدوم ولا يعكره مجىء أصدقائك اليهود المنفيين من روما ، لأنى أفضل أن أقضى الفترة الباقية لى هنا فى هدوء إلى أن يتقرر نقلى مع أننى أعتقد أنه يجب أن أبقى هنا بضع سنوات أخرى ، لكن لو تقرر نقلى الآن فسوف أقبل بكل سرور إنما بشرط أن يتم هذا بصورة طبيعية . أما إن تم نقلى بسبب وشاية أو تحيز ضدى فعندئذ سأكون آسفاً على ما سأفقده من سلطة وسلطان .

وليكن معلوماً لديك أنى رجل هادىء بغض النظر عما حدثتك عنه من تحذيرات مازحة ضد اليهود .

الرسالة السابعة عشرة

أورشليم

بيلاطس يحضر عيد الفصح فى أورشليم

لقد جئت إلى أورشليم لحضور الاحتفال بعيد الفصح كما جرت العادة ، وكان سرورى بالغاً بوصول رسالتك إلى قيصرية قبل أن أغادرها ، وما دام الركود فى روما لا يروقك فلماذا لا تأتى إلى هنا ! ؟

إن اليهودية تزخر منذ أسابيع بعشرات الألوف المنتشرين فى كل بقاع الأرض ، وقد جاءوا إلى أرض الآباء والأجداد يزورون الأهل والأصحاب ، كما يزورون الأماكن المقدسة التى شهدت بدء تاريخهم .

وفى الأسبوع الماضى كانت السفن تفــد إلى قيصرية حاملة الأفواج تلو الأفواج ، وها هم يملأون كل أورشليم تعج بهم كما يعج البحر بالأمواج . إن بعضهم يأتى إلى أورشليم حتى ولو كلفه هذا

كل ما لديه ، وحتى الذين لا يملكون أجرة السفر قد جاءوا كذلك، ومنظرهم يشبه منظر أهل روما عندما يحتشدون فى الملاعب والساحات .

وبين الحاضرين يمكنك أن تجد الأرستقراطيين وهم كثيرون ـ يسيرون متشامخين ، كما تجد الرعاع الذين يعانون من الفقر المدقع ، وهؤلاء وأولئك يجوبون الشوارع والطرقات فى أريحا والسامرة . القادرون منهم ينامون فى خيام أحضروها معهم بينما ينام الآخرون فى العراء ، وكل البيوت فى أورشليم معدة لإيواء الوافدين لقاء أجر مُجزٍ ، وقد أدى هذا الزحام إلى ارتفاع بالغ فى الأسعار ، وتجدنى ميالا ألى تصديق ما يقال ان حال يهود فى أورشليم تهز جميع يهود العالم حتى اليهود اليونانيين .

واليوم عندما اقتربت من أورشليم كان الزحام على أشده مع أنى كنت على مسافة ميل من المدينة ، وقد بذل رجال الحرس جهداً مضنياً لكى يفتحوا الطريق للعربة . ولولا هذا لما تمكنت من دخول المدينة بسبب الزحام .

وقد أمرت ألفين تقريباً من رجالنا بأن يكونوا فى حالة تأهب

واستعداد . صحيح أن كل شيء يسير فى الطريق المعتاد ، ولكن يجب الحذر والاستعداد لمواجهة كل احتمال،خاصة وأن الدين كما تعلم يثير فى الناس أدنى العواطف والانفعالات ، ويهود أورشليم يعيشون على أعصابهم هذه الأيام ، فكلهم فى هذا العيد يجب أن يحجوا إلى الهيكل الذى هو مركز عبادتهم رغم اختلاف طوائفهم ومجامعهم ، فكل جماعة منهم لها مجمعها الخاص الذى يتفقون على كل ما يجرى فيه من فرائض بخلاف الوضع القائم حالياً فى أورشليم ، حيث يلتقون كلهم معاً وكثيراً ما يشجر بينهم نزاع بسبب الاختلاف على طريقة تقديم الذبائح أو التقدمات أو لعدم مطابقة التقدمات للمواصفات المطلوبة ، وبعضهم يفاخرون بأنهم أنقى عنصراً من الآخرين ، ولكن بالرغم من كل هذا مطمئن لأنه مرت من قبل مناسبات أخرى كهذا العيد دون أن يحدث فيها شيء من المضايقات .

ويظهر الخطر فى الأيام التالية للأعياد ، لأن هؤلاء القادمين من جميع أطراف الأرض يتصورون أنهم أحرار من كل قيد ، ويعيشون كما لو كانوا فى أيام القدم وينتظرون أن يقوم « يهوه » إلههم بإجراء غير عادى ، ويذرينا نحن الرومان مع الريح ، وشرارة واحدة تكفى لإشعال الجو كله هنا .

لعلك لا تعلم أننى منذ وصولى إلى أورشليم ممعتهم يشكون من دخول المدينة بالعربة ، إنهم كانوا ينتظرون أن أرّجل لأنهم كانوا يسدون الطريق أمام العربة .

كما أنهم يشكون مرّ الشكوى من عدم وصول عربات بيع الطعام إليهم فتأمل ! ! إنهم دائماً هكذا يتذمرون .

سأوافيك بأخبارى أولا بأول .

الرسالة الثامنة عشرة

أورشليم

« عودة يسوع إلي الظهور »

لعلك تذكر يسوع ذلك الواعظ الذى أخبرتك أنه هرب إلى سورية منذ عدة شهور خوفا من أنتيباس .

ها هو يعود إلى الظهور . وربما لاتصدق أنه الآن فى طريقه إلى أورشليم . لقد أخبرنى جواسيسى أنه مرّ بسرعة فى الطريق عبر الجليل . ولدىّ أنباء وافانى بها رجالى الكثيرون الذين كلفتهم بمراقبته ، وهذه الأنباء تفيد أنه قادم إلى أورشليم متحديا الكهنة والفريسيين. وأعتقد أنه سيأتى معه كثيرون من أولئك الذين يعانون من العديد من المتاعب فى حياتهم الخاصة .

وقد سررت أيما سرور لما اكتشفته عما عندى من خبرة فى مجال زراعة الكروم . إن هؤلاء اليهود على قدر كبير من النشاط فى هذا المجال ولكن تنقصهم الخبرة العلمية ، ولولا أن الكهنة

يسلبونهم أولا بأول لتوفر لهم من المال ما يعينهم على تحصيل المعرفة الحديثة والقدرة الكافية ، ولكن هذا لن يتيسر لهم طالما يوجد بينهم هذا الفريق من الكهنة الذين يستغلونهم أبشع استغلال .

أرجو أن يوافيني خبيرك على عجل عن طريق الإسكندرية ، وسأرتب له عدة جولات يزور فيها كل أنحاء الولاية .

الرسالة التاسعة عشرة

أورشليم

« يسوع فى أورشليم »

كل شىء هنا يجرى بصورة أفضل مما كنت أتوقع وأنتظر ، وإننى أجد تسلية كبرى فيما أسمع عنه من الخلافات والإنقسامات القائمة بين هؤلاء اليهود ، وهذه الخلافات تشتد كلما جاء إلى أورشليم هؤلاء اليهود الغرباء .

فالفريسيون يحتقرون مَن لا يتبعـــون تعليمهم حتى من بين مواطنيهم من اليهود ، والإنسان الذى لايتبع حرفياً كل ما ورد فى الناموس ولا شىء آخر سواه لا يكون فاضلا فى نظرهم ، وإذادخلت البيت امرأة من عامة الشعب فإننى أؤكد لك أنهم يعتبرون البيت كله نجساً بسببها ، وبالقياس على هذا تستطيع أن تتصور شعورهم من نحو اليهود المصريين والسوريين الذين يعيشون ويتعاملون مع الوثنيين من أمثالنا أنا وأنت وسيجانوس وقيصر .

ولهذا فإن اليهود الغرباء وجلهم من الأغنياء وبالأخص يهود مصر يحقدون على الفريسيين المنتقدين الذين يعاملونهم وينظرون إليهم بهزء وسخرية عند دخولهم الهيكل . ومع أن معظمهم أكثر رقياً وأغزر علما فإن أولئك الفريسيين يصفونهم بأنهم لا فرق بينهم وبين اليهود اليونانيين غير معرفتهم اللغة العبرية أو الآرامية التى يجهلها اليهود اليونانيون تماما . وكثيرا ما ينتهى الأمر بالتماسك وتبادل الشتائم واللكمات ، ولكن هذا شىء تافه لا يدعونا إلى التدخل .

ثم لعلك تريد أن تعرف المزيد عن الواعظ « يسوع » ، وعندى سببان يدعوانني للحذر منه . لقد فكرت فى البداية فى القبض عليه قبل دخوله أورشليم والتحامه بالجماهير ، ولكنى عملت حسابا لما قد يترتب على هذا الإجراء من أخطار وخاصة فى هذا الوقت ، كما أنه لم يصدر عنه ما يستوجب هذا. وقد خشيت أن يستغل تلاميذه الفرصة لإثارة الجماهير بسبب قيامى بالقبض على واحد يعتبرونه من أفاضل المواطنين اليهود ، وتفاديا لكل هذا عدلت عن تنفيذ الفكرة .

كما حضر لزيارتى كل من قيافا وحنان ولاحظت أن لديهم رغبة

ملحة فى أن أزيحه من طريقهم لأنهم يكرهون الرجل ولهم الحق كل الحق فى هذا ، والفريسيون أيضاً متضايقون منه لأنه يهاجم الناموس والكهنوت ويعتبرونه داعية لهدمه ومهدداً بزواله ، كما أن قيافا وحنان والنبلاء الصدوقيين يخشون أن يهجرهم الناس ويلتفوا حول يسوع الذى يخشون أن ينظر إليه الناس على أنه بطل ، وفى هذامافيه من تهديد لمراكزهم ، فضلا عما قد يترتب على تعليمه من إساءة لمركز الكهنوت ونظامه وما سيؤدى إليه هذا من زوال لسلطانهم وامتيازاتهم ، وأنا أعتقد أن يسوع يقدم على هذه التصرفات بدافع من حبه للسلطان .

وقد ذكرنى كل من قيافا وحنان بما حدث فى الجليل، وقالا لى ان الحكمة تقضى بالقبض على يسوع ، ولكنى لست غبياً لدرجة تجعلنى أعرض نفسى لما أنا فى غنى عنه حباً فى سواد عيونهما ، وكان ردى عليهما هو أن هذا الأمر يخصهم وحدهم ، وأننى سوف أتدخل عندما يحين الوقت المناسب لهذا التدخل ، كما أعلنت لهما عن رغبتى فى تجنب حدوث أى أزمة ، وكانت هذه أيضا رغبتهما ، وقلت إننى إذا كنت قد كففت يدى حتى الآن لكنى سأتحرك إذا جد

ما يدعونى إلى ذلك ، وأخبرتهما أنى سأعتمد آنذاك على معونتهما فوعدا بذلك .

وما لم يحدث شىء فى أثناء الاحتفال بالعيد فإنى سأنتظر على يسوع إلى أن تنتهى الاحتفالات ويعود الحجيج إلى أوطانهم، وبعدها سوف أقضى عليه لأنى لن أسمح لهذا الواعظ بأن يفعل فى اليهودية ما فعله فى الجليل ، لكن لو حدث قبل هذا أى شىء منه أو من أحد تابعيه فعندئذ سأجد المبرر للتبكير فى تنفيذ خطتى فى القضاء عليه ، وأنا واثق من أن الكهنة لن يبخلوا علىّ بأية معونة فى هذا السبيل ، وإن شئت أن تعرف السبب فليكن معلوماً أنهم لن يعاونونى فقط لأنهم يكرهون الرجل ، ولكن أيضاً لأن الامر قد يتطور بسهولة إلى ثورة علنية تندفع فيها الأمة كلهـــا ضد الحاكم الشرير الذى لا يستجيب لمطالبهم . وهم يخشون من هذا لأننى أعرف كثيرين من الغيورين منهم ممن سبق وهددوا بالمقاومة العلنية ، وهم يعرفون أن لدىّ قائمة بأسماء هؤلاء .

وبالأمس دخل يسوع أورشليم سراً فلم يهتم أحد به ، ولم يعرفه غير القليلين . إنه جاء من طريق أريحا وكان الطريق مزدحماً باليهود

القادمين من ولايتى سوريا والفرات الذين لم تسبق لهم رؤيته أو السماع عنه . لهذا لم يلتفت إليه أحـد ، لـكن لو رآه أحـد من سكان الجليل الذين كانوا يعرفونه جيد المعرفة ، لتذكروا كيف أنه خيب آمالهم فى العام الماضى . ولم يكن يتبع يسوع عند دخوله أورشليم غير جماعة من الفقراء الذين لا وزن لهم .

وقد أمرت الـكساندر بأن يتبعهم، كما كلفت يوسف بأن يندس بين الجماهير ومعظمهم من الجهلة وتابعى الخرافات الذين لا يخشى بأسهم إلا متى وجد قائد مثل هذا الواعظ ، وهم دائماً ينتظرون منه معجزة لإقامة ميت أو قتل واحد من الأحياء ،وعندهم الاعتقاد الذى كان عند أهل الجليل فى أنه فى أى لحظة سوف يحرر الأمة . وعندئذ تبدأ معه عهدها الجديد .

ولم يحدث بالأمس أى شىء سوى أن تلاميذ يسوع هتفوا له عند دخوله أورشليم ، وعندما رآهم الآخرون يهتفون هتفوا معهم ، وكنت قد أعددت للأمر عدته ، فكان بعض الجنود متخفين يتبعون جماهير القادمين من أريحا ، كما كان البعض أكثر استعداداً عند أبواب المدينة . وكانت لدى ماركيوس أوامر بالإنقضاض على يسوع

وأتباعه إذا بدت منهم أقل محاولة لإحداث شغب ، وليس معنى هذا أنه لم يحدث شيء .

وقد حصل الكساندر على ثقة بعض أتباع يسوع وأخبرني بأن لديهم الكثير من الأفكار الغريبة وغير المعتادة عن التغيير الرائع الذي سوف يحدث لهم ، وهم يقولون إن قائدهم عازم على أن يواصل في أورشليم معركته التي كان قد بدأها ضد الكهنة وناموسهم ولا شيء غير هذا أو أكثر منه ، وقد أكد لي الكساندر صحة هذه الأقوال .

وأرجو أن تجد ما توقعت أنك ستجده من لذة ، حين أقدمت على هذا الشرح المستفيض ، ولو أنني كنت أكتب هذه الرسائل لشخص آخر سواك ، لاختلف الوضع لأني عندئذ كنت سأتحفظ كثيراً جداً جداً .

الرسالة العشرون

أورشليم

مشهد فى الهيكل

ومحاولة للقبض على يسوع

ها قد حضر إلى أورشليم كل من هيرودس فيلبس وشقيقه أنتيباس ، وأحضرا معهما هدايا قيمة للهيكل تملقاً لليهود ، ولهذا يستقبلهما الرعاع فى كل مكان بالتصفيق والهتاف ناسين ما قام به هيرودس من إحراق وقتل العديدين منهم فرادى وجماعات ، وكأنى بهم يعبرون بهذا عن رغبتهم فى أن يتولى هيرودس حكم اليهودية بدلا منى .

إنهما يتصرفان وكأنهما يملكان الشرق بأسره . من جهتى لم أقابل أحداً منهما واكتفيت بتعيين حراس على أبوابهما كمظهر من مظاهر التكريم ، ثم لوضعهما تحت الرقابة وهذا هو الأهم بالنسبة لى ، كما أن بعضاً من ذويهم وأقربائهم يرافقونهم إلى الهيكل فى غدوٍ ورواح .

وقد بدأت مهمة يسوع تأخذ شكلا واضحاً وبارزاً . إنه دخل الهيكل أمس ومعه أتباعه ، وعندما وقف فى الساحة الخارجية هاله ما كانت تعج به من ضجيج منبعث من الآلاف المؤلفة من الباعة والشعب ، هاجم الكهنة لسماحهم باستغلالها بهذه الصورة ، وكانت مهاجمته لهم بالغة العنف بصورة لم يسبق لها مثيل غيرة على حرمة الهيكل التى سمحوا بانتهاكها بهذا الشكل، إذ جعلوها سوقاً لا فرق بينه وبين أى سوق من الأسواق الخاصة باليهود فى روما حيث يسمع الإنسان خليطاً من الأصوات واللهجات .

ويعتمد الكثيرون فى دخلهم على ما يعود من ممارسة نشاطهم فى ساحة الهيكل ومن بيع الذبائح والتقدمات وتغيير العملات وما إلى ذلك من أوجه النشاط المختلفة،وقد أثبت يسوع بهذا التصرف أنه فعلا إنسان مختل العقل ، ولو لم يكن كذلك لما أقدم على مقاومة هذا النشاط لأنه لو كان كثيرون قد لاحظوا فعلته لانقضوا عليه وفتكوا به ، لكنهم كانوا مشغولين عنه ، فمرّ هذا الموضوع بسلام كأمر من قبل موضوع دخوله إلى أورشليم ، وأعتقد أن معظم الذين كانوا فى الهيكل لم يفهموا كلامه لأنه يتكلم الآرامية ، وربما إعتبروه مريضاً

لأن صوته قد ضاع فى زحمة أصوات الباعة والمشترين ، وهم هنا يعتبرون الشخص مريضاً إن لم يكلمهم بصوت عالٍ .

ولو كان يرمى إلى إحداث شغب من وراء ماقام بهفى الهيكل ، فإنى أقول إنه قد فشل فى هذه المرة كما فشل فى المرات السابقة .

بعد ما فعله يسوع فى الهيكل جاءنى رسول من قبل حنان ذلك الثعلب الماكر العجوز ، إنه يعلن أنه أكثر الجميع حباً للسلام والهدوء ، وهو كما تعلم يرغب فى تعيين بعض أبنائه فى بعض المناصب الكبرى ، وهو فى الوقت نفسه صاحب الأمر والنهى عند جماعة الفريسيين الذين يضمرون لنا حقداً بالغاً وبغضاً شديداً ، وينتظرون أية فرصة ليشعلوها ناراً علينا .

وقد أعلمنى حنان بلسان رسوله أنه يوافقنى على أن يسوع لا يمثل أى خطر فى الوقت الحاضر ، ولكنه يعتبر مركزاً من مراكز الخطر الذى قد ينفجر فى أى وقت . وهو يشير علىّ بأن أنتهز فرصة انشغال الناس وانصرافهم عن يسوع ، وأوجه إليه ضربتى بحيث لا يعلم بها إلا أقل عدد ممكن ، ثم عاد ليقول إن هؤلاء القليلين سوف ينقلون الخبر إلى الجميع ، ولكن متى حدث ذلك فسيتولى الكهنة من جانبهم

إعلان رأيهم فى يسوع ويقولون إنه من كبار الملحـدين والمجدفين على حد قول حنان ، كما قال إنهم سيأتون بشاهد من أتباعه ويغرونه بالمال لـكى يتهم معلمه (يسوع) بأنه كان يجدف فى محادثاته الخصوصية معهم . كل هذا لا أعيره بالطبع أى اهتمام ، وأعتقد أنهم سيعدون للأمر عدته ، ويجمعون كل ما يتطلبه الموقف من حجج وبراهين على ما سيدعون به عليه .

خلاصة القول ان هـذا الرجل يمثل بالنسبة لى خطراً سياسياً ، نفس الخطـر الذى كان يمثله بالنسبة لأنتيباس فى العام الماضى ، وكما فعل يوحنا الواعظ الذى قام أنتيباس بقطع رأسـه فى قلعة مكاريوس ووفر على نفسه مشقة مواجهة الخطر ، ولا تزال المشاورات مستمرة بينى وبين الـكهنة .

إن يسوع يقضى الليل مع أتباعه خارج أورشليم ، ولـكننا نعرف مكانه جيداً ، وسنقبض عليه فوراً ودون أى تأجيل ، مع أننى لم أفـكر فى هـذا من قبل ، ولـكنى سأتيح الفرصة لأنتيباس ليقدم شكواه ضده كما تقضى بذلك أبسط قواعد اللياقة والمجاملة لأن يسوع بدأ يمارس نشاطه داخل حدود ولايته ، وفى نفس الوقت سيتضمن

هذا كشفاً منى لأنتيباس الذى سمح لهذا الواعظ الخطير بأن يتسلل ويهرب من بين يديه ، وبالمقارنة مع هـذا سوف يعلم أنى أكثر منه وعياً وانتباهاً .

وسوف أرسله إليه باعتباره واحداً من رعايا الجليل ، وحاكم الولاية هو الذى اشتكى عليه ، وعليه يجب أن نسلمه إليه ليقوم بمحاكمته بنفسه كحاكم رومانى وممثل للسلطة العليا هناك .

الرسالة الحادية والعشرون

أورشليم

القبض على يسوع

فى هذا الصباح وصل عتيقك « كريتو » حاملا لى رسائلك وبعض الرسائل الأخرى أحضرها معه من قيصرية ، ولن يتأخر عن العودة إليك. فهأنذا أكتب رسالتى هذه بعجلة ولذا ستكون قصيرة . وكم كنت أود لو أنه اقتصر على حمل رسائلك وحدها لأنى لا أجد لذتى إلا فيها كما أنى لا أجد راحة إلا فى معرفة أخبارك فى روما .

وبعد وقت قصير منذ تسلمى لرسائلك وصلتنى أخبار سببت لى كثيراً من الضيق .

كنت قد سبق وأنبأتك أنى اعتدت أن أنتهز فرصة الانتهاء من احتفالات عيد الفصح وأقيم بعض الألعاب فى قيصرية ، وهذا يكون بمثابة ترفيه عن جماعة الحجاج العائدين من أورشليم فى الطريق إلى أوطانهم ، كما أنه يمثل نشاطاً تجارياً يدر عائداً ضخماً للمدينة ،

ولعلك تتساءل عما إذا كانوا يحضرون هـذه الألعاب التى أقيمها .
نعم إنهم يحضرونها ، فهم من اليهود اليونانيين والآسـيويين والقيروانيين وهم أكثر مرونة وأقل تعصباً من أولئك الفريسيين وباقى سكان اليهودية الأفظاظ .

والذى ضايقنى هو ماورد الىَّ من أنباء عن غرق سفينة كانت تحمل ستة أسود ، ولـكن غرق الأسـود كان وقعه أهون من نبأ فقدان « أدواتوكس » وهو معبود النساء لأنه من أشهر وأمهر اللاعبين بالسيف فى الشرق ، وقد اشترك فى خمسين مبارزة منذ أحضرته معى عند مجيئى إلى هنا . وكم حاول حكام مصر وسورية شراءه منى بأى ثمن لـكننى رفضت ، وإن كنت قد أعرته لهما مرتين .

وكنت سأعتقه وأوكل إليه إدارة الألعاب وتدريب الفريق بحسب وعـدى السـابق له بأن أعتقه عندما يتم المبارزة الخمسين ، وكنت أود أن أحضره معى إلى روما وأقـدمه إلى جماهيرهـا ، ولا شك أن مهارته كانت ستلفت إليه أنظار القيصر الذى كان سيضمه إلى حاشيته . وبهذا كنت أضمن صوتاً يزكينى عنده . لـكنه اتفق على مبارزة اثنين من العبيد التراكيين على فتاة فقتلاه ، ثم هربا مع أنى كنت أرجو أن أجد فيهما من يعوضنى عن فقده .

يسرنى أن أخبرك أن العمل فى قناة أورشليم قد انتهى . وها هى مياهها تحت أمر اليهود وحتى الفريسيون يستخدمونها ولكنهم لا يشكرون على أى شىء ، وأعتقد أن هذه القناة قد جعلتنى موضع تقدير اليهود الغرباء برغم شعورهم بالإستياء لاستخدام أموال الهيكل فى انشائها ، فهم يرون أنى لست أقل من غيرى من الحكام وولاة الرومان اهتماماً بشئون الولاية الصحية أو سمعة الامبراطورية .

وفى الليلة الفائتة تم القبض على يسوع بمعرفة مندوبين عن السنهدريم تعززهم فرقة من جنودنا ، واليوم انتشرت الأخبار بأنه قد تم الاتفاق بين الحاكم وبين مجلس السنهدريم — على حد قولهم — على أنه من الأفضل التخلص من يسوع ، ولهذا الاتفاق وزنه وأثره حتى إذا كان اليهود الغيورون يكرهون السنهدريم .

ومرت حادثة القبض عليه بغير مضايقات ، ويسوع نفسه لم يبد أقل مقاومة ، أما أتباعه فقد هربوا . وأعتقد أن معظمهم قد كروا عائدين إلى منازلهم .

بعد هذا مضوا بالسجين إلى بيت رئيس الكهنة حيث قام قيافا مع بعض كبار الكهنة يفحصه حتى الصباح .

والأمر غاية فى البساطة لأنه ما دام أنتيباس رفض، فسأتولى أنا اتهام يسوع بأنه يقاوم قيصر، ولكن هؤلاء الكهنة دائماً يتذكرون أن مقاومة القيصر أمر مرغوب فيه، بل ومحبب عند جماعة الفريسيين وعامة الشعب. ولهذا تجدهم يمضون فى اتهامه بالعمل ضد الناموس بقصد ضمان تأييد الجماهير لهم فى الوقوف ضده مستغلين مهاجمته لهم علناً فى الهيكل وعلى رؤوس الأشهاد، وأعتقد أنهم سيتهمونه بأنه قال انه هو المسيا المنتظر مع أنهم لا يملكون الدليل على صدق مايقولون ولكنهم لم يعجزوا عن الإتيان بالأدلة اللازمة، أما الشعب فلن يحفل بالمسيا الذى لا يقدر أن يخلص نفسه من قبضتنا، لأنه بالتالى سيعجز عن تخليص الأمة والشعب من أيدينا ومن حكمنا.

حتى الآن لم أشهد الرجل بنفسى، ولكنى سأراه حالا، وكما سبق وقلت لك أمرت بإرساله إلى أنتيباس باعتباره واحداً من رعايا الجليل ليتصرف معه كمخلٍّ بالأمن بدأ نشاطه فى ولايته، لكنه أعاده إلىَّ بالتالى برد مهذب يطلب منى أن أتصرف فى الأمر بمعرفتى لأن الرجل قد قبض عليه فى أورشليم.

لازال « كريتو » ينتظر أن أفرغ من كتابة هذه الرسالة لكى

يحملها إليك ، لكن عندى كلمة أخيرة : هل صحيح أن القيصر رفض أن يعتق حفيد سيجانوس الذى شدد قبضته على روما عن طريق أعوانه ! ! ؟

ترى ماذا سيحدث لو سقط سيجانوس[1] ! ! ؟ وماذا لو قاوم رغبة القيصر فى إسقاطه ؟ ! ؟

حقاً ما أفضل الإنزواء وعدم تعجل بلوغ المراتب العليا ، بل وما أسلم البقاء فى أصغر المراكز .

---

(١) سقط سيجانوس فى السنة التالية وتم القبض على كل أعوانه .

الرسالة الثانية والعشرون

أورشليم

محاكمة يسوع

أرى لزاماً علىّ أن أكمل الرسالة التى بدأت فى كتابتها إليك هذا الصباح .

بعد أن مضى من عندى « كريتو » رسولك حاملا ردى ومحملا بتحياتى إليك تفاهمت مع ماركيوس على جميع الترتيبات العسكرية اللازمة الخاصة باحتفالات عيد الفصح والتى ستبدأ فى الغد .

وقد وردتنى من يوسف تقارير تفيد أن أعمال العنف قد تزداد ويتسع نطاقها بين الأفراد وبين جماعة الصدوقيين المتسلطين عليهم. لكنه أضاف بأن هذا لا يهم مادام الهدوء سيظل سائداً والتفاهم متبادلا بيننا وبين اليهود، كما عبر عن إحساسه بأن الناس هنا قد سئموا حياة الهدوء .

بعد أن تمت محاكمة يسوع ومواجهته بالإتهام حكمت عليه

بالموت صلباً ، وتم بالفعل تنفيذ الحكم فيه هو واثنين آخرين سبقت محاكمتهما والحكم عليهما ، وكانا فى انتظار دورهما فى التنفيذ ، وأعتقد أن هذا درس لازم خصوصاً فى الفصح ليكون عبرة لكل واحد من هذا الجمع المحتشد هنا .

وكالمعتاد تم دفن جسد يسوع فى نفس اليوم وقبل حلول السبت الذى يبدأ بعد الغروب ، وقد طلب السنهدريم الترخيص بدفنه بعد الظهر . وها هو الجو قد خلا لهم فليفعلوا ما يريدون ، وكل شىء انتهى قبل أن يبدأوا احتفالهم بعيد الفصح ، ومن جانبى اتخذت كل الإجراءات اللازمة لقمع أى حركة قد تحدث .

لم تستغرق المحاكمة وقتاً يذكر ، وكان الإتهام الموجه إلى يسوع هو إخلاله بالأمن وإعلانه نفسه ملكا لليهود ، وكان هناك شهود ضده بعضهم من رجالنا وآخرون من اليهود من كل من الجليل وأورشليم ، كما شهد ضده كل من حنان وقيافا وقادة الصدوقيين وقلة من الفريسيين ، لأن معظم هؤلاء لا تهمهم فى شىء مقاومة القيصر مع أنهم يشاطرون الآخرين رغبتهم فى موت يسوع .

وعندما قال أحد الكهنة انه يتهجم على ديانتهم بادرت بإسكاته

لأنه ، كما أنهم لا يسمحون لنا بالتدخل فى أمور دياناتهم، هكذا يجب ألا نسمح لهم باقحام دياناتهم فى إجراءات اتخذتهـا الدولة ، فيسوع متهم سياسى لأنه يعلن نفسه ملـكا وهو بهذا يقاوم قيصر،ويستوى إن كانت هذه المقاومة بصورة مباشرة أو غير مباشرة . وهـذا أمر يخصنا نحن ولا شأن لهم به . فليتخاصموا معاً على يهوه كما يشاؤون، وليفعلوا فى هيكلهم ما يفعله المصريون فى معبد إيزيس ، فكل هـذا لا شأن لنا به، ولـكن إن حدث فى الهيكل أى شغب فعندئذ يصبح الأمر من اختصاصنا وعلينا أن نتحرك .

لم يستطع يسوع أن ينـكر اتهامنا له بالإخلال بالأمن ، ولما سألته — عن طريق الـكساندر — عما إذا كان فعلا يدّعى أنه المسيا المعين لخلاص الأمة أجاب : « هم يقولون إنى أنا » مشيراً إلى رئيس الـكهنة والذين معه ، وعندما سألته عما إذا كان يعتبر نفسه ملك اليهود قال لى : « أنت تقول » .

وهذه إتهامات خطيرة وأخطر من الإتهام الذى اتخذه أنتيباس ذريعة لإعدام يوحنا المعمدان ، لأن كونه المسيا يعنى زوال سلطاننا — نحن الرومان — وزوال سلطان الـكهنة أيضاً ، ولهذا فقد استندوا

إلى ما كان ينادى به عن الملكوت الجديد وعن أشياء أخرى خاصة به لإثبات التهمة عليه ، وقد تكفل حنان وبعض من جلبهم لهذا الغرض بإبراز هذه الأقوال كما وعد من قبل .

وكانت إجابات يسوع المقتضبة تفيد أنه يعلم أننا راغبون فى إلصاق التهمة به ، وكان يتكلم فى جرأة بالغة ودون أدنى خوف أو اضطراب ، وهذا هو حال اليهود عامة ، إنهم أناس معاندون غير سلسين معنا أو مع بعضهم البعض ، ورغم أنه كان يرى نفسه محاطاً بأعداء قد أعدوا العدة لقتله ، رغم هذا كان يقف صامداً جامداً كالصخر لا يلين، تماماً مثلما وقف أولئك الذين حاولوا الإعتداء على حياة هيرودس ولم يغيروا موقفهم منه رغم ماصبه عليهم من صنوف العذاب . إنهم جنس خطير .

فى النهاية حكمت عليه بالموت ، ولم يكن فى استطاعتى أن أفعل غير هذا ، فكل الطرق التى كانت أمامى كانت تؤدى إلى هذه النهاية . برغم أن الكساندر كان قد أخبرنى أن يسوع منع الشعب من تنصيبه ملكا عليهم مستخدماً فى هذا كل قوته ، كما أخبرنى بأنهم اتهموه كذباً لأنه لم يكن ينادى بأنه هو المسيا أو المخلص الذى

ينتظرونه . ثم أضاف الكساندر أنه منعهم من تنصيبه ملكا عليهم لتجنيب نفسه وأتباعه المساكين مغبة ما سوف يترتب على هذا من نتائج خطيرة ، ثم لكى يضمن عدم الوقوع فى قبضتنا ليواصل حملته ضد الكهنة ونظامهم .

كما أن الكساندر عرف من بعض أتباع يسوع أنه أوصاهم ألا يتحدثوا عنه باعتباره المخلص المنتظر الذى يتوقعه شعب اليهود ، كما علم منهم أيضاً أنه لم يكن ليحضر إلى أورشليم لو لم يكن متأكداً من أن ما حدث فى الجليل قد طواه النسيان .

قد يكون هذا صحيحاً، لكنى أعتقد أنه حتى إن كان لم يتسبب لنا حتى الآن فى أية مضايقات ، فلا شك فى أنه كان حتماً سيفعل هذا فيما بعد ، إن لم يكن عاجلا فآجلا ، لأن واحداً فى مثل جرأته وحماسته وتأثيره وجاذبيته وقوة إقناعه ، كان لا بد سيستثيره حماس الجماهير وتعاطفهم معه .

ولعلك لم تنس وصف بروكولا والكساندر لذلك المشهد الذى أبصراه فى الجليل ، ولو أنه واصل بالفعل حملته ضد الكهنة فلا بد أن الأمر كان سينقلب إلى حملة ضد القيصر وما يقدم للقيصر ولروما .

أتعتقد أنه كان سيحترم عبادة ديفوس أوغسطس ! ؟ ثم إن الجميع هنا فى حالة تأهب لحرب أهلية ، إنهم على استعداد لأن يقتلوا بعضهم بعضاً ، وهـذا كله كان لا بد أن يقع لو أنهم رزئوا بحا كم آخر ممن هم فى عرفهم أسوأ منى . إنهم تربة خصبة للحقـــد والـكراهية والفوضى إذا ما هيئت لها الظروف المناسبة للانماء .

لذا تجدنى دائماً مستعداً لقمعهم على الفور . ثم هناك شىء آخر فاتنى أن أذكره لك عن موضوع صلب يسوع ، لقد علقت على صليبه لافتة تحمل لقب « ملك اليهود » ، وقد أثار هـذا مشاعر الفريسيين الذين تمتلىء صدورهم برغبة جياشة فى أن يوجد فعلا ملك لليهود ، إنه لمن أعظم دواعى سرورهم أن يروا حكم الرومان وقد انزاح عن كواهلهم ليحل محله ملك اليهود ، ملك من طراز آخر غير طراز هيرودس نصف اليهودى ، ملكٍ من دم يهودى خالص يحكم الولاية عن طريقهم ويسحق الصدوقيين .

لقد قابل هؤلاء الفريسيون اللافتة التى وضعتها على الصليب بغضب بالغ واستياء شديد ، لأنها كانت تتضمن الإعلان بأننا أصحاب السلطان عليهم ، كما أنهم اعتبروه تحقيراً لهم وتصغيراً من شأنهم أن

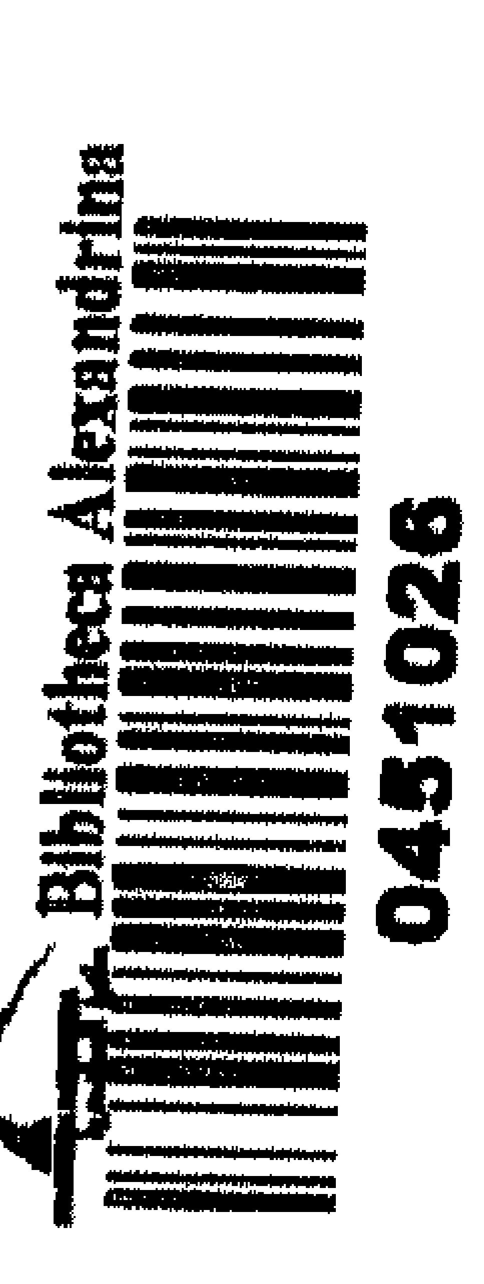
يحمل مثلى هـذا المجرم لقب « ملك اليهود » ، وعندما أعربوا عن اعتراضهم قابلت اعتراضاتهم بحزم وقلت لهم إن ما كتبت قد كتبت وأمرتهم بالانصراف .

وأنا متأكد أنهم بدأوا يعدون العدة للقضاء على يسوع منذ بدأ هو فى مهاجمتهم وانتقاد تصرفاتهم . تباً لهم هؤلاء الكهنة المستبدين ، إنهم لا يطيقون أن يخدشهم أحد ، وإن قام من يطالبهم بالحرص على المقدسات تحسسوا سكاكينهم ، ولن يتورعوا عن قطع رقبته إذا ما تمادى فى غيه وراح ينبىء الناس بسوء تصرفاتهم .

لقد مضى بى الاستطراد بعيداً أيها العزيز سينيكا ، ولهذا تجدنى آسفاً وأكرر الاعتذار لك خشية أن أكون قد جلبت لك الملل بكل هـذه التفاصيل التى ذكرتها لك عن يسوع هـذا الشخص وهو ليس إلا واحد من هؤلاء اليهود ، لا أكثر ولا أقل .

كل ما أرجوه أن أوفق فى العثور على بديل لأدواتوكوس .

— —


Bibliotheca Alexandrina
0451026